

الليبرالية الضائعة

حقوق الطبع

حقوق طبع هذا الكتاب مهداة من المؤلف إلى كل مسلم وجزى الله خيراً من طبعه أو أعان على طبعه وغفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٧ هجرية
ديسمبر ٢٠٠٦ ميلادية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	■ مقدمة
٩	■ الليبرالية الضائعة
١٥	■ كفاية يا أخ أحمد
١٩	■ لبنان والليبراليون
٢٦	■ الليبراليون والواقع السياسي
٣١	■ شبهات البليهي
٣٦	■ لا تحتكموا إلى الدستور
٤٢	■ في البدء كان الحوار
٤٩	■ الحوار الإسلامي الليبرالي
٦١	■ أمور نتفق مع العلمانيين فيها
٦٤	■ صفقة مع الليبراليين
٦٦	■ العلمانية تحارب الله
٧٤	■ أوهام التطور الفكري
٧٩	■ الليبرالية سراب
٨٥	■ الليبرالية والاتجاه المعاكس
٩٣	■ الليبرالية الحديثة

٩٨	■ حالة ليبرالية صعبة
١٠٥	■ الليبرالية والمصلحة
١١٠	■ الليبرالية والقيود الذهبية
١١٦	■ عقلك يخذعك
١٢٢	■ العقول الضائعة
١٢٨	■ الطفيليون من المثقفين
١٣٠	■ من أين جاءت مبادئك
١٣٣	■ العلم يتبرأ من العلمانية
١٣٨	■ الدين والعلمانية
١٤٧	■ خذعوك يا شرويدر
١٥٣	■ أخطر من المخدرات
١٥٦	■ العلمانيون والإسلام المجهول

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : يسلط هذا الكتاب الأضواء على الليبرالية من زوايا مختلفة سواء كانت فكرية أم سياسية أم اجتماعية وحقيقة الليبرالية أنها مدرسة من المدارس الفكرية العلمانية ولهذا تطرقت في هذا الكتاب للعلمانية بصورة مباشرة كما أوضحت أن هناك عدة معانٍ لليبرالية فلا يوجد في الحقيقة اتفاق على معنى واحد كما هو الحال مع العلمانية وتتشابه وتختلف معاني الليبرالية في عقول الناس بدرجة أكبر فنجد مسلماً يقول أنا مسلم ليبرالي ولست مسلماً علمانياً وهناك المسيحي الليبرالي وهناك من هو ليبرالي في أفكاره السياسية فقط وهناك من يعتبر الليبرالية هي حرية الرأي وحرية التجارة وليست شيئاً أكثر من ذلك وعندما يتم التطرق إلى الفكر والواقع فلا بد من الكلام عن الحق والباطل والعدل والظلم والعقل والعلم والدين والفلسفة والاتفاق والاختلاف..... الخ . وما أدعو له دائماً هو الرجوع لجذور العقائد والمبادئ والتعرف على الحق من الباطل فيها وإلا سيصعب حل اختلافاتنا وسيتحول نقاشنا إلى جدل فلا بد من حل الاختلاف الفكري أولاً ثم نتطرق بعد ذلك إلى عالم السياسة وحياتنا الاجتماعية والإصلاح والفساد والمستقبل والحاضر والتاريخ وقد تطرقت للفكر في كتابي (عجز العقل العلماني) والذي أعتبره عملية جراحية كبيرة في العقل البشري وفهمه للدين والفلسفة والعلمانية والرأسمالية والشيوعية والعلم المادي والحرية والعدل.... الخ .

وكنت ولا زلت مقتنعا بأن كثيرا من الحقائق الفكرية والواقعية سيتمكن الوصول إليها إذا تناقش المخلصون بأسلوب صحيح ولفترة طويلة إذا كان أطراف الحوار من أهل العلم والثقافة والموضوعية ولكن المشكلة أن كثيرا ممن يدخلون في النقاش ليسوا مخلصين أو ليست فيهم صفات الموضوعية . وفي الختام أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وأسأل كل من انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين .

عيد بطاح الدويهيس

الكويت في ١٩ شوال ١٤٢٦ - ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦ م

الليبرالية الضائعة

قال الأخ العزيز أحمد الصراف في مقال له بعنوان ”الشارع الكويتي والنازي“ بجريدة القبس بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠٠٦ ” كلمة liberal المشتقة من كلمة الحرية، والتي تشمل حرية المعتقد والكرم والتسامح وعدم التعصب لفكرة ما وتأييد النظم الديمقراطية والاقتصادية والمناداة بالحرية الفردية“. كنت ولا زلت أقول إننا يجب أن نركز أولاً على العقائد والمبادئ قبل أن نتكلم عن الواقع السياسي أو غيره وإذا فعلنا ذلك ووصلنا إلى العلم والحقائق فإنه يسهل معالجة الواقع إذا صدقت النوايا فالإنسان يتعلم الطب قبل أن يبدأ بمعالجة الأمراض وقال تعالى ” فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك“ وقال علماءنا ” العلم قبل العمل“ وأقول: التعريف الذي ذكره الأخ أحمد عن الليبرالية لا يزيد عن سطرين وهو يحدد ملامح الليبرالية الرئيسية وهي بالتأكيد فكر جزئي وفيها درجة من الغموض في معاني الحرية والتسامح والحرية الشخصية وهي في كل الأحوال لا تصلح لبناء فرد ناهيك عن مجتمع و دولة لأن الفرد يحتاج إلى عقائد توضح علاقته بالخالق وصفاته ولماذا خلقه؟ وما هو موقفه من أمور كثيرة كالعقائد الباطلة والتعصب العرقي والفساد الأخلاقي والغرور والجدل... الخ؟ وبالتالي فالليبرالية لا تصلح لأن تكون فكراً أو نظاماً لدولة أو حزب أو فرد وعلى سبيل المثال يمكن أن أقترح مبادئ مثل الحب والتعاون والعمل الجاد والرحمة والتواضع والتكافل الاجتماعي وأسمي هذه المبادئ ”المحبة“ ثم أدعي أنها ستصلح أحوال الناس فالشمولية والوضوح أمور مطلوبة وبالتالي وصف إنسان بأنه ليبرالي عملية غير صحيحة فكرياً وماذا يقول الأخ أحمد عن بقية مبادئ

الليبرالي هل هو مؤمن بالله سبحانه وتعالى وبمحمد ﷺ أم هو زنديق أو ملحد؟ وهل الليبرالي يحب العفاف والأخلاق الفاضلة أم يشجع على الفسق؟ وهل الليبرالي يؤمن بفصل الدين عن الدولة كالعلماني أم يرفض ذلك؟ أم إن الليبرالية لا فرق عندها بين المؤمن والكافر فهذه قضايا هامشية لا تستحق أن نهتم بها؟ فهذه أسئلة هامة جدا وأساسية ويجب أن يحدد الليبرالي موقفه منها بوضوح وبصراحة فلا مجال في الفكر والمبادئ للغموض ناهيك عن الكذب والخداع وإذا كانت الليبرالية إسلامية إن صح التعبير فلا مشكلة عندنا في قبولها وبالتالي لا معنى لأن يكون هناك اتجاه إسلامي واتجاه ليبرالي وليس صحيح أن كل أو حتى أغلب الاتجاه الإسلامي متطرف ومتشدد بل أغلبه معتدل بدليل أن علماء الإسلام معه. أما إذا كانت الليبرالية مظلة يستظل بها بعض من يعادون الإسلام وأهله فلا شك أن المطلوب من الليبراليين المسلمين أن يبعدوا عن صفوفهم الليبراليين العلمانيين الذين خطرهم لا يقل عن خطر الإسلاميين المتطرفين على الاتجاه الإسلامي والمسلمين وإذا سلطنا الأضواء على بعض ملامح أغلبية الليبراليين الكويتيين اليوم لوجدناهم أهل الجدل والانتقاد الشديد للاتجاه الإسلامي بكافة أطيافه وهم المدافعون عن الاختلاط والحفلات الراقصة وقد أعلنوا انسلاخهم عن العروبة والولاء لأمريكا والدوران في فلك الحكومة خاصة بعد سقوطهم الكبير في انتخابات ٢٠٠٣ وأصبحوا ضد الجهاد في فلسطين والمقاومة في لبنان وهذا التراجع والتناقض هو في المبادئ الأساسية لليبراليين وليس في المواقف والتطبيق والاجتهادات ويبررون ذلك "بالواقعية" والواقعية بريئة من ذلك. وقال الأخ العزيز أحمد: "كون الطرف الآخر" الإسلامي "المعادي لليبرالية

وقضايا التحرر والديمقراطية في الكويت أكثر تنظيماً وجذبا للشارع، فهذا لا يعني بالضرورة أن التيار المعادي لليبرالية في الكويت على حق" وقال "فعدد الأحزاب الليبرالية"، إن وجدت مقارنة بأكثر من مائة وخمسين جمعية وهيئة ولجنة دينية مسيسة حتى النخاع أمر مثير للعجب وأقول للأخ أحمد: نعم الحق لا يقاس بالكثرة ولا يقاس بالقوة ولكن أرجو أن يتذكر أن الليبرالية ليست قائمة على "الحق" "بل قائمة على النسبية والطول الوسط والتصويت وليس العلم الفكري والعقل وبناء على ذلك تحدد مبادئها ومفاهيمها للحرية والعقوبات والأعداء والأصدقاء ومصالح الشعب والمساواة والعدل. ونقول له كما قال الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه "اعرف الحق تعرف أهله" العلمانية والليبرالية لا يعترفان بوجود حق مطلق بل تقولان ما يوجد هو آراء تحمل الصواب والخطأ فالحق عند الليبراليين هو ما يقرره الشعب فإذا قرر الشعب ما لا يفتنون به قالوا نريد الحق أما القول بأن الأبواب مفتوحة للاتجاه الإسلامي ومغلقة في وجه الاتجاه الليبرالي فأقول الاتجاه الإسلامي اتجاه فطري وعقلي سليم وهو دين وتاريخ ومستقبل الشعب والأمة فمن الطبيعي أن يكون قويا فهو موجود منذ ألف وخمسمائة سنة ومقبول شعبيا أما الليبرالية ففاشلة فكريا وخاسرة شعبيا وكثيرا ما تعرض الاتجاه الإسلامي المعتدل والمتطرف لحروب من أنظمة حكم وقوى أجنبية ووضع عشرات الآلاف من الإسلاميين في السجون في حين أن الاتجاه الليبرالي لم يتعرض حتى إلى واحد في المائة مما تعرض له الاتجاه الإسلامي لأنه ليس له شعبية وقوة حتى لو فتحت له كل الأبواب وساندته أمريكا وأوربا وهذا هو الأمر المثير للعجب والأغلبية الساحقة من الليبراليين والعلمانيين ليست

على استعداد للتضحية في سبيل مبادئها بل إن أنصارها ليسوا على استعداد حتى لنشرها. ولهذا لم يبذلوا الجهد في تنظيم أنفسهم وفي الاتصال مع القواعد الشعبية وأجزم بأن اتصال الليبراليين الكويتيين بالقواعد الشعبية في المناطق الخارجية شبه منعدم خلال الثلاثين سنة الماضية وأصبح الهدف الرئيسي لهم الحصول على مناصب في مجلس الأمة أو الحكومة وبهذا المعيار فقط يقيسون جدية الإصلاح وأضيف إلى ذلك لماذا استخدم الأخ أحمد عبارة الأحزاب الليبرالية إن وجدت والجواب في اعتقادي هو أن تناقض آراء ومواقف الأحزاب الليبرالية تجعل كثيراً من الليبراليين يتبرؤون منها بل كثير ما يتبرأ الليبرالي من ليبراليين آخرين فيقول هذا لا يمثلنا ومبادئه أو مواقفه نرفضها ومثل هذا التفرق لا يؤهلهم للتعاون الجاد وللوحدة ناهيك عن الاستمرار والإنجاز ومواجهة مشاكل مجتمعاتنا من جهل وكسل وعنصرية وفساد مالي وإداري... الخ وليعلم الليبراليون أنه ليست لهم مفاهيم تحدد من هو الليبرالي الحقيقي ومن الكاذب لأن أي ليبرالي يستطيع تبرير مواقفه سواء مع احتلال أو ضده ومع ظلم أو ضده وهكذا لأن الليبرالية قائمة على الظنون والضبابية لا الحق الواضح واستخدام الأخ أحمد عبارة الأحزاب الليبرالية إن وجدت يدفعنا للقول هل من يسمون ليبراليين في الكويت ليسوا ليبراليين كما يعتقد أيضا الأخ عبد اللطيف الدعيج وماذا هم إذن؟ هل هم أهل مصالح؟ أرجو أن تكون الإجابة محددة.

وقال الأخ أحمد "أما كون الشارع يميل إلى هذا الاتجاه" الإسلامي "دون غيره فلا يعني هذا صحة الاتجاه من عدمه، فالجماهير عادة ما تقاد بأهوائها وليس بعقولها وللدعاية الذكية تأثير على تصرفاتها، ولو كانت ميول الشارع

تمثل الحق والصواب دائماً لما دانت "شوارع" ألمانيا لنازية هتلر، وشوارع إيطاليا لفاشية موسليني، وشوارع العرب لناصر في أكثر من معركة وفكر خاسر". وأقول للأخ أحمد لا أدري لماذا تدعو إلى الديمقراطية خاصة وأنت تعلم أن الجماهير "عادة" ما تقاد بأهوائها وليس بعقولها؟ وأرجو ألا يكون جوابك كما أجب تشرشل بأنها أفضل النظم السيئة ولماذا نقبل أن تكون الديمقراطية "تصويت الجماهير العاطفية" كما يطالب الليبراليين المنبع الذي يحدد لنا مبادئنا الفكرية والسياسية والاجتماعية؟ والطريف أن الليبرالية هي فعلا صناعة إعلامية وليست علمية فشعاراتها وأهدافها تبدو جميلة ولكن لو تعمقنا فيها عقليا وليس عاطفيا لوجدنا كثير من مبادئها خاطئة علميا فالتسامح كلمة لها معاني كثيرة متناقضة وكذلك حرية الرأي والحرية الشخصية وتحاول الدعاية الأمريكية الذكية ليلا ونهارا تسويقها حتى تكون حصان طروادة بعد أن فشل تسويق العلمانية فميزان الدعاية الذكية يميل بشدة نحو الليبراليين لا الإسلاميين لأن أمريكا وهي دولة عظمى تدعمهم إعلاميا وسياسيا وثقافيا وتعليميا وتدعو لديمقراطية أو شورى لأهل العلم والمتخصصين وذوي الخبرة والإخلاص أي أهل القوة والأمانة وهذا هو ما يدعوه له العقل ولكن الديمقراطية التي يطالب بها الليبراليون هي ديمقراطية للكبير والصغير والرجل والمرأة والعالم والجاهل والأمين والفاقد. فالله سبحانه وتعالى علمنا بالإسلام كيف نبني دولنا على علم وبصيرة وبين لنا أنه ليس بالجانب السياسي وحده يعيش الإنسان فلا بد من الجانب العقائدي والجانب الأخلاقي والجانب الاجتماعي فهذه أعمدة أساسية جدا لا نجد لها

وزناً في أدبيات ومقالات الليبراليين إلا ما ندر ويكفي أن نتذكر قول أحمد شوقي رحمه الله :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ومن الاحتمالات الموجودة أن الليبراليين فشلوا في مخاطبة عقول الجماهير وكذلك في مخاطبة عواطفهم كما أن اتهام الجماهير بأنها تتبع عواطفها فيه تلميح بأن الأخ أحمد لديه وكالة العقل فيمنحه لمن يشاء ويمنعه ممن يشاء ولماذا لا يدرس احتمال أن الجماهير تتبع عقلها وأن الليبراليين هم الضائعون أي لم يستخدموا عقولهم بطريقة صحيحة ومن الأدلة على ضياعهم أنهم يببالغون كثيراً في وزن الديمقراطية ويحملونها أكثر مما تحتمل وكم من عقائد ومبادئ كان فشلها بسبب زيادة الجرعة أكثر من اللازم للأخلاق أو العبادة أو السياسة أو الاقتصاد أو المساواة أو الجهاد أو للسلطة أو غير ذلك وهذا ينطبق على المبادئ الدينية وغير الدينية أيضاً.

كفاية يا أخ أحمد

كتب الأخ العزيز أحمد الصراف في القبس مقالا بعنوان ”شكرا للعلمانية“ وذلك بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٥ وانتقد فيه الذين يكتبون الكتب والمقالات في ذم العلمانية ولأنني أحدهم فأجدني مضطرا للرد على ما قال من خلال ما يلي :-

١- استشهد الأخ العزيز في بداية المقال بقول كونداليساريس وزير الخارجية الأمريكية والتي قالت ”لستين عاما فضلت حكومة الولايات المتحدة مبدأ استقرار دول منطقة الشرق الأوسط على حساب مبادئ الديمقراطية فيها ولم تتمكن من تحقيق شئ ونحن الآن بصدد أخذ طريق مختلف“ وأقول من الغريب أن يصدق الأخ أحمد هذا الكلام لا أفعال أمريكا وحقائق الواقع ومنطق العقل لأن أمريكا ”العلمانية الذكية“ لا تحتاج إلى ستين عاما حتى تعرف أنها لم تحقق شيئا والأقرب للعقل أنه ليس من مبادئها ومصالحها نشر الديمقراطية وهذا ما يثبتته الواقع في الشرق الأوسط وفيتنام وأمريكا الجنوبية والعراق وغوانتاموا وغيرها والأخ أحمد يحسن الظن جدا في نوايا وأفعال وأقوال أمريكا والعكس تماما يفعل مع الإسلاميين ولو كان كلام أمريكا صادقا أو حتى مقبولا فلنقل أن صداما كان يفضل الاستقرار على مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان خلال الثلاثين سنة التي حكم فيها فلماذا تعاديه أمريكا؟ وعموما لم ولن تحدث الديمقراطية في العراق وأفغانستان بل أصبحت أوضاعهما

لا أمن ولا استقرار ولا ديمقراطية ولن تحدث كذلك الديمقراطية الحقيقية في الدول ذات العلاقات القوية مع أمريكا في الشرق الأوسط وإذا كان الأخ أحمد مقتنعاً بأن أمريكا دولة مبادئ فأرجو أن يتذكر الأكاذيب الأمريكية بشأن أسلحة الدمار الشامل العراقية واليورانيوم الأفريقي وعلاقة العراق بالقاعدة وليتذكر أيضاً قتل أكثر من خمسين مليوناً من البشر في الحرب العالمية الثانية وفي الجزائر وفي فيتنام لأن هذا الفعل حدث بأيد علمانية فأمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا دول علمانية وليتذكر أن الدول الاستعمارية خلال الثلاثة قرون الماضية هي دول علمانية وليس دينية ثم لنقل بعد ذلك شكراً للعلمانية.

٢- اعتبار تحقيق السلام في السودان انتصاراً للعلمانية التي حققت دماء ملايين المسلمين أمر غريب لأن من قتل من المسلمين وغير المسلمين نتيجة تمرد الجنوب حدث نتيجة الدعم العلماني الأمريكي الذي دعم التمرد وشجعه على الاستمرار وقبول شعب السودان بشروط الاتفاق تم نتيجة الاضطرار والضغط فالسلام المجحف أقل شراً من استمرار الحرب والقتل والدمار فالنظام السوداني كان يواجه حرباً من أمريكا لأنه يريد أن يكون حراً ألستم يا أخي تؤيدون سيادة الدول وأنت يا أخي أحمد قلت أن الاتفاق الحالي يعطي الحق لرئيس غير مسلم وغير عربي بأن يحكم شعباً أغلبيته من المسلمين وهذا شرط مجحف ويتناقض مع مبادئ الديمقراطية ومع منطق العدل والعقل والواقعية.

٣- إذا كان الجنوب السوداني يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية أو أي

قوانين أو قرارات للحكومة السودانية أو لأغلبية الشعب السوداني فالحل هو الحوار والتغيير السلمي والاحتكام للشعب لا حمل السلاح وقتل الناس ولماذا لا يسمى هذا إرهاباً وليس صحيحاً أن الحكومة السودانية كانت ترفض الحوار والتفاهم اللهم إلا إذا كنا نصدق الإعلام الأمريكي ولا شك أن السودان دولة فقيرة ولا توجد مصالح حقيقية للشعب السوداني كله في الحرب فالسودان ليس فيه ما يستحق الصراع فهو يشكو من تخلف كبير في المدن والطرق والتكنولوجيا والصحة والصناعة.... الخ فالحرب فرضت على السودان من قبل العلمانية الأجنبية ولو حدث تمرد في جنوب الولايات المتحدة لتم قمعه بالسلاح فوراً بل حتى بالقنابل النووية كما حدث في حربها مع اليابان ولو ساعدت دولة أجنبية التمرد لأعلنت أمريكا عليها الحرب ولكن السودان بلد فقير وضعيف ومسلم فلا يحق له ما يحق لأمريكا.

٤- معروف عن الشعب السوداني بأنه متسامح دينياً وسياسياً وأن العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع قوية وأن مساحة حرية الرأي كبيرة والسودان من المجتمعات القبلية وهذا بحد ذاته يفرض عليه درجة كبيرة من الاستقلالية والحرية والعدالة الاجتماعية وكان جون قرنق ضابطاً في الجيش السوداني مع أنه غير عربي وغير مسلم وهذا يثبت درجة كبيرة من العدالة الوطنية والجغرافية وبالتأكيد إن تطبيق الشريعة لن يؤدي إلى اضطهاد الأقلية غير المسلمة ولكن من يريد إشعال الحرب سيجد ألف سبب لذلك وخاصة إذا وجد دعماً كبيراً ”وبالدولار“ من الخارج فالقضية ليست

صراع عقائد ومبادئ والظن بأن العلمانية هي التي ستحقق الحرية والعدل والمساواة ظن خاطئ لأنها مرفوضة كلياً من المسلمين وهم الأغلبية في السودان ولأن العلمانية فكر متخلف ومتناقض قائم على الظنون والشعارات والأحلام والكفر والفسق والزندقة ويتطلب البناء والإصلاح والصراط المستقيم حقائق فكرية ونوراً وهداية من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾.

٥- أتمنى يا أخي العزيز أن نسلط الأضواء على العلمانية وما هي الأدلة التي تستند إليها؟ وما هو نصيب هذه الأدلة من العلم؟ لأن خلط العلمانية بواقع السودان أو أمريكا أو غيرها سيؤدي إلى اختلاف وجهات النظر واختلاف الموازين التي نستخدمها واختلاف نصيب كل واحد فينا من المعلومات الصحيحة وغير الصحيحة فخلط العلمانية بالدول والواقع بالمبادئ والحاضر بالتاريخ والأفراد بالعقائد سيؤدي إلى خلط الأوراق وتشعب الحوار وضياعه فلنسلط الأضواء على حقيقة العلمانية كمبدأ وأفكار وسنعرف أن العلمانية ليست العلم المادي ولا العلم الفكري وأنها لن تحقق العدل ولا الحرية ولا المساواة وأنها منبع الاختلاف والتناقض وأنها الامتداد للفلسفة والفلاسفة والضياع والضلال ويا ليتك تصدق ربع ما أقول خاصة وأنت تصدق كل ما تقول أمريكا.

لبنان والليبراليون

قال الأخ عبد اللطيف الدعيج في مقاله بالقبس بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٠٦ ”دعم المجاهدين والدفاع عن فلسطين وحرب اليهود ”ثابت“ مع الأسف في الوعي العربي إن جازت كلمة ووعي - ليس من السهل على العربي أو المسلم الفكاك منها“ وقال ”الأمل كان أن يكون أكثر حدة وأكثر وضوحا وأكثر صرامة في انتشار الإنسان العربي من أو هام التحرير وأحلام مقارعة العدو وأمراض التفوق على الغير أو التصدي له“ وقال ”مقاتلو حزب الله يتخفون بين المدنيين والمنازل كي يستصرخوا العالم“ وقال ”وكفانا تضليلا ومزاعم عن الشجاعة والجهاد“ وأقول كلام الأخ عبد اللطيف مثال نموذجي للضياع الليبرالي والعلماني وإليكم الأدلة: -

١- يتعامل الأخ عبد اللطيف مع الواقع السياسي من خلال مفاهيمه العقلية وآرائه الشخصية التي تشكلت بناء على ما في الواقع من أحداث سياسية ومواثيق دولية وإمكانيات واقعية دون أن يتعمق في فهم الكون والحياة والعقائد الدينية والعلمانية أي من دون رصيد من العلم الفكري وهذا هو الأسلوب العلماني والفلسفي والليبرالي وهذا أسلوب يوصل صاحبه إلى آراء متناقضة فيعتبر المقاومة الفلسطينية واللبنانية تخلف و جهل وإرهاب وحماقات أو العكس تماما فيراها مقاومة مشروعة وبطولة وشجاعة أو ما بين هذين الرأيين من آراء كثيرة لأنه بالإمكان إعطاء تبريرات لكل الآراء فيمكن أن يقال إن إسرائيل دولة محتملة وتخالف قرارات الأمم

المتحدة وقتلت كثيراً من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين وترفض مبادرات السلام.... الخ ويمكن أن يقال العكس تماماً أن إسرائيل تدافع عن نفسها وغير ذلك ومثل هذه الاختلافات العلمانية تؤدي إلى الصراعات في أحيان كثيرة لأن كل طرف مخلص يقف الموقف الذي أوصله إليه عقله وما أكثر العقول ولكن نحن نريد أن يتبع الإنسان الحق (العلم الفكري) وهو واحد أما غير المخلصين فيختارون من الآراء العلمانية المتناقضة ما يناسب فسادهم.

٢- لا يمكن معرفة الحق من الباطل في كثير من القضايا الرئيسية إلا إذا تعمقنا في التفكير والبحث والدراسة في العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية وإذا لم نفعل ذلك سيتبع كل مخلص على هذه الأرض عقله أو سيتأثر بالبيئة التي نشأ بها فمن يولد فلسطينياً سيحارب الإسرائيليين ومن يولد إسرائيلياً سيحارب الفلسطينيين. والأهم من ذلك أن العقائد سواء كانت دينية أو علمانية تؤثر في مواقفنا وآرائنا وأحداث السياسة وحياتنا الاجتماعية.... الخ ويريد العلمانيون أن نعتبر الحياة سياسة واقتصاداً وماديات لأنهم لم يتعمقوا في القضايا الفكرية من إيمان وكفر والمعاني الصحيحة للعدل أو المقاومة أو الجهاد والإرهاب والحرية... الخ فكيف يعرفون أن هذا الفعل جهاد ومقاومة أو إرهاب أو غير ذلك ولم تصل عقولهم للمعاني الصحيحة بل أعلنوا عجزهم صراحة عن معرفة المعاني الصحيحة والمعاني الصحيحة يحددها العلم والعقل السليم لا تلك المعاني التي يحددها الشعب كما يشاء من خلال التصويت ولا تلك المعاني التي تحددها مواثيق الأمم المتحدة ولأننا كمسلمين وصلنا وحددنا المعاني الصحيحة من خلال العقل

الذي أوصلنا للقرآن والسنة فإن من الطبيعي أن نتمسك بهذه الثوابت ونحن بالتأكيد أكثر صوابا من العلمانيين الذين يقولون لا ندري ولم نصل إلى شيء بل لن نصل إلى شيء وليس عندهم مبادئ ثابتة أما نحن فلا نريد الفكك من الثوابت الفكرية لأنها الحق والعلم وصراعنا مع إسرائيل ليس هو صراع أرض أو مصالح أو حتى صراع مع اليهود بل هو دفاع عن الحق والتزام بالمبادئ الصحيحة وليتأكد ألف مرة الأخ عبد اللطيف أن لنا عيوناً تقرأ وعقولاً تفكر وسمعنا ما قاله أعداؤنا ومن يخالفنا وكثيراً منا درسوا في الغرب ومع هذا لا زلنا متمسكين بثوابتنا لأننا نعلم أننا على حق ونملك الأدلة التي تثبت أن العقل السليم يوصلنا للقرآن والسنة فنحن لا نعيش في أو هام أو سطحية ولسنا جماهير ساذجة لا تفهم أما إسرائيل فهي متقدمة سياسياً واقتصادياً وإدارياً وتكنولوجياً ولكن ضياعها وفسادها هو في مبادئها العقائدية ويكفي أن اليهود مقتنعون أنهم على حق ومع هذا لا يدعون بقية البشر إلى هذا الحق وليس عندهم أدلة تثبت ضلال المسلمين أو تفند الأدلة التي يذكرها المسلمون لإثبات صواب الإسلام.

٣- أي عقل منصف في العالم يعلم أن إسرائيل دولة معتدية شردت ملايين الفلسطينيين واحتلت سيناء لسنوات واحتلت جنوب لبنان عشرين سنة ولا زالت تحتل الجولان والضفة الغربية وغزة وبالتالي فمقاومتها حق مشروع حسب القانون الدولي ومع هذا لا يرى عقل الأخ عبد اللطيف هذه الصورة والمفروض أن تحارب الدول العربية بل كل دول العالم إسرائيل حتى ترجعها لحدودها الدولية وإذا كان هذا لم يحدث نتيجة ضعف الدول العربية ومساندة أمريكا لإسرائيل فواجبنا أن نشكر حزب الله وحماس

وأقول لا شك في أن للمقاومة ضحايا من مدنيين وخسائر مادية ولكن أليست القوة هي الوسيلة الرئيسية للوصول إلى الحق عبر التاريخ ألم يقتل الملايين من الشعب الفيتنامي حتى تحررت فيتنام من الاحتلال الأمريكي ألم يقتل أكثر من مليون جزائري حتى يتحرروا من فرنسا ألم يقتل مئات الآلاف من الأفغان ليتحرروا من الاتحاد السوفيتي إن العقل العلماني الليبرالي لا يرى ذلك لأن "ثوابته" متناقضة أليست العلمانية هي اللادينية أي الاتجاه المعاكس للدين وبالتالي ليس غريبا أن يقف الأخ عبد اللطيف ضد حزب الله وحماس لأنهما حركتان إسلاميتان وهو ضد الإسلاميين الكويتيين ويتهمهم بالتخلف فهو متناقض مع الإسلاميين سواء جاهدوا أو لم يجاهدوا ولن يرضى عنهم إلا إذا تركوا له الدولة والسياسة بل كل القضايا العامة وأنصحه ألا يضيع وقته لأن العملاق الإسلامي بدأ ينهض في كل مكان.

٤- أسر حزب الله جنديين إسرائيليين وقتل ثمانية وجرح آخرين لا يعطي إسرائيل الحق بقتل مئات المدنيين اللبنانيين وضرِب مطار بيروت والموانئ اللبنانية ومدينة بيروت وتدمير الجسور.... الخ لأن من بديهيات العدل أن يكون رد الفعل مساوياً للفعل قال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (١٢٦) سورة النحل وأي منصف في العالم سيقبل أن تأخذ إسرائيل بثأرها من حزب الله لا من الشعب اللبناني والدولة اللبنانية وأنا أتحدث هنا عن هذا الموضوع دون أن أربطه بما فعلته إسرائيل لعشرات السنين من جرائم كثيرة في حق اللبنانيين والفلسطينيين ناهيك عن حق حزب الله في تحرير أسراه من

سجون إسرائيل. وما أقوله هو شيء معروف ولكن بعض الليبراليين يوجه الاتهام واللوم لحزب الله لا لإسرائيل فهم يقفون من حيث لا يشعرون مع أعداء الأمة والخونة وأنه أن اختلاف الأخ عبد اللطيف ليس مع توقيت أسر الجنديين الإسرائيليين أي اختلاف اجتهادي بل هو اختلاف مع حزب الله ومبادئه ويطالب بتحرير لبنان من حزب الله وعموماً فالشعوب الحرة ترفض أن تعيش حياة الذل والاستسلام والخضوع ولو كانت تحسب أمورها بمقاييس مادية وما فيها من خسائر لما تحررت كثير من الدول.

٥- جزء من مأساة العلمانيين والليبراليين هو أن ما يجمعهم من مبادئ قليلة جداً وأغلبها شعارات وأهداف عامة لا اختلاف حولها ولا شك أن قضايا وأحداث الواقع كثيرة جداً فمن الطبيعي أن يظهر الاختلاف الجذري بينهم كلما سارت القافلة حيث ستختلف آراؤهم جذرياً حول الصراع العربي الإسرائيلي أو حول الموقف من أمريكا أو روسيا أو بريطانيا كما ستكون هناك اختلافات جذرية في مواقفهم من الأنظمة العربية.... الخ ولهذا لم استغرب عندما وجدت ليبراليين عرباً ذوي مواقف متصادمة من حزب الله وحركة حماس وفي نفس الوقت هناك ليبراليين عرب ذو مواقف مؤيدة لحزب الله وحركة حماس وعندما تنكشف حقيقة الليبراليين في الجانب الغامض من فكرهم ومواقفهم يصبح من الطبيعي أن يتصارعوا فيما بينهم فالاختلاف الجذري شر كله ولا مكان فيه للود والمحبة فما بالك إذن بموقف المسلمين منهم ومثل هذا الوضع لا يحقق للشعب أو الأمة التعاون والاتفاق والوحدة لأنك إذا اتفقت مع الليبراليين في بعض القضايا كما

يحدث مع الأخ عبد اللطيف في كثير من القضايا الوطنية تجد نفسك تختلف معهم في قضايا أخرى هامة.

٦- عجزت الليبرالية اللبنانية على مدى قرنين عن إقناع الناس بأن مبادئها أقوى وأرقى من أديان الآباء والأجداد مع أنه توجد لها في لبنان حرية كاملة لكل مبادئها من رأسمالية واشتراكية وشيوعية وتعصب قومي وإقليمي ووطني وكان لبنان ساحة لنشر العلمانية بمدارسها المختلفة للأمة العربية وفشل المشروع الغربي فشلا كبيرا حيث ماتت هذه المدارس ومات مفكروها وأصبح مكانهم المتاحف الفكرية والسياسية حيث شاهدت شعوبنا فشل وسقوط الأنظمة والأحزاب العلمانية وشاهدت تبدل مبادئ العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية فالقومي أصبح وطنيا عنصريا والشيوعي أصبح رأسماليا والرأسمالي أصبح مشغولا بمصالحه الشخصية وهكذا وإذا كانت أحد مشكلات لبنان الولاءات السلبية لدول أخرى لأغلب قواه السياسية وأقصد بالولاءات السلبية الانحرافات التي تتعارض مع انتماء لبنان لأمة العربية والإسلامية فهذا في الغالب من ثمرات العلمانية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة لأن مفاهيمها الخطأ ستؤدي بالتأكيد إلى مفاهيم غير صحيحة لمصلحة الوطن في حين لدينا بالإسلام منهج يحدد الولاءات وغيرها سواء ما يتعلق بالوطن أو القبيلة أو الأسرة أو غير ذلك قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، إن الله يعلم ما

يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) ﴿ سورة العنكبوت.

الليبراليون والواقع السياسي

يمكن بيان واقع الليبراليين السياسي من خلال النقاط التالية : -

١- اقتناع العلمانيين والليبراليين العرب بالفكر العلماني الغربي أدى إلى تصادم مع فكر الأمة الإسلامي وتصادم مع كل مسلم واع وليس صحيحاً أن اختلافهم وتصادمهم هو مع بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة أو الرجعية فقد تصادموا مع علماء الأمة وثقافتها وتاريخ الأمة واعتبروه كله أو أغلبه أسوداً فمفاهيمهم للحرية أو العدل أو الإصلاح أو التقدم تختلف عما نعتقده كمسلمين والتشابه الفكري بين الغرب العلماني والعرب العلمانيين والليبراليين يجعل من الطبيعي وجود ولاء للغرب ودوله ولهذا يختاره كثير منهم للهجرة والعمل أو السياحة أو التعليم وتجد عشقاً للغة الإنجليزية وزهداً باللغة العربية مع أنها أجمل وأغنى ويصبح هؤلاء العرب أجنب في عقائدهم وثقافتهم وتعليمهم ولباسهم وحتى عاداتهم وغذائهم.

٢- يقول المثل الشعبي ”اللي مو على دينك ما يعينك“ أي الذي يختلف معك في عقائده وعبادته لن يساعدك ووجد الغرب في بعض العلمانيين والليبراليين تأييداً وتشجيعاً ليس للتعاون في المصالح المشتركة بل حتى في غزو دول عربية أو الثورة على أنظمتها كما حدث مع الخلافة العثمانية وغيرها ولا شك أن الغرب ذو تاريخ استعماري طويل فنحن معهم في صراع منذ الحروب الصليبية وكانوا ولا زالوا يتآمرون علينا ومن السذاجة السياسية

بل والغفلة أن يصدق عربي أن الغرب يريد الخير لبلادنا وأن هدفهم نشر الحرية أو الديمقراطية بدليل أنهم أكبر أعوان أنظمة الاستبداد والظلم في العالم ما دامت هذه الأنظمة تحقق مصالحهم وصدق بعض العلمانيين العرب الغرب وتعاونوا معه على أمل أن يحقق لهم أو لبلادهم الخير ولكنهم رأوا بأعينهم أن الغرب لا يهتم إلا بمصالحه وله خطته وأهدافه وأنه أعظم شراً من الأغلبية الساحقة من الأشرار العرب وكما قيل:-
”رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه“

وهؤلاء أدركوا متأخراً أنهم أصبحوا في نظر شعوبهم وأمتهم خونة وطابوراً خامساً وبعضهم دفع ثمن هذا الموقف وأضيف إلى ذلك أنهم شجعوا أعداء الأمة على مزيد من العدوان لأنهم أوجدوا لهم أعواناً من أبناء جلدتنا يؤيدون ما يقوله الأعداء من مبررات ويساهمون بكفاءة عالية في تشويه عقائدنا وأنظمتنا وقوانا الشعبية وأهدافنا وجهادنا فدورهم دور المنافقين في عهد الرسول ﷺ ويسعى الغرب بكل الطرق لإضعاف الأمة العربية وتمزيقها فيهدد الحكومات بالشعوب وكذلك يهدد الشعوب بالحكومات ويسعى لإثارة الفتن العرقية والطائفية والسياسية والطبقية... الخ فأحياناً يؤيد ليبراليين وأحياناً يؤيد إسلاميين وقد يتحالف مع القوميين وهكذا والمهم هو أن تشتعل النزاعات والصراعات في الأمة.

٣- يقول بعض العلمانيين والليبراليين العرب أنكم لا تعرفون الغرب وأنكم مضللون بنظرية التآمر والعداء وأن الشعب الأمريكي لن يرضى بوجود استعمار أمريكي لأي دولة... الخ وأقول أن جرائم أمريكا والسجون

السرية وانتهاكات حقوق الإنسان واضحة جدا للعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وأن هناك غربان غرباً ذوي نوايا حسنة وشعوباً نستطيع أن نتعايش معها ونتعاون ونتحاور مع مثقفيها وهناك غرب سياسي ذو أهداف شريرة ومصالح استعمارية . والشعب الأمريكي مخدوع إعلامياً من حكومته ومن الضروري أن نقول أن العرب عربان أيضاً فهناك عرب طيبون وهناك عرب أشرار أو جهلاء وهذا التصنيف ينطبق على الشعوب أيضاً وما ندعو له هو أن يتجمع الطيبون تحت مظلة الحق والخير مهما اختلفت أوطانهم ولغاتهم وهذا هو ما دعا إليه الأنبياء وينقسم الليبراليين أيضاً إلى مجموعات مجموعة منهم ليبراليون مسلمون يريدون حرية الرأي والديمقراطية وينتمون إلى عروبتهم وأمتهم وهناك ليبراليون جهلاء لديهم بعض المفاهيم التي تعارض الإسلام أو يقفون من حيث لا يعلمون في خندق الأعداء وهؤلاء بحاجة إلى تعليم ومجموعة ثالثة علمانية تكره الإسلام وتحارب أهله ولكن أغلب أفرادها لا تعلن ذلك وأنبه هنا إلى أن تسليط الأضواء على شر العلمانية والليبرالية في العالم العربي والإسلامي لا ينبع من أن لها قوة فكرية أو قوة شعبية بل فكرهما هزيل وشعبيتهما مفقودة ولكن صوتهما العالي يثير الفتن الفكرية والسياسية أي هم أقوياء في الهدم والفساد.

٤- لم يعد الغرب بحاجة لأن يحاربنا عقائدياً وسياسياً ونفسياً وإعلامياً لأن كثير من العلمانيين والليبراليين يقومون بهذه المهمة خير قيام فهم يطالبوننا بأن نبعد الدين (الإسلام) عن السياسة وأن نبتعد عن الجهاد وحتى عن الدفاع عن أوطاننا وكرامتنا ويقنعوننا بأننا ضعفاء فنتحطم

معنوياتنا ونستسلم بدون حرب والمعركة الرئيسية المشغول بها كثير من الليبراليين هو تشويه الجماعات الإسلامية والأنظمة الإسلامية وعلماء الإسلام بل حتى تاريخنا لم يسلم من تشويههم فلا زالوا يتحدثون عن الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وقال لي أحدهم : ” اذكر لي إيجابية واحدة للخلافة العثمانية“ وهذا يجهل الحق من الباطل ولا يفقه في الصراع السياسي ولا يعرف تاريخنا ولو قرأ فقط شعر أمير شعراء العرب أحمد شوقي رحمه الله وهو المثقف الواعي فكريا وسياسيا لعرف أنه كان يعشق الخلافة العثمانية مع أنه عاش في آخر عمرها عندما أصبحت ضعيفة وإيجابياتها قليلة ولكن ماذا نعمل مع من مراجعه كتب المستشرقين لا حقائق التاريخ وكتب المسلمين ومن الملاحظ أن أكثر الليبراليين هم أهل كلام وجدل وهذا ليس غريباً لأنهم أبناء الفكر العلماني الفلسفي وهم لم يحققوا نجاحات عملية ولعل أكبر دليل على ذلك هو نصيبهم المتواضع (إن وجد) في العمل الخيري فهم بعيديون كل البعد عن واقع الفقراء والمرضى بل حتى تجدهم بعيدين عن القوى الشعبية الحقيقية وفشلهم وضعفهم واضح في كل انتخابات حقيقية فهم معزولون وانعزاليون ومنبذون ومن لا يجيد غير التهجم والنقد والسخرية لا يستطيع أن يحقق إنجازات عملية ولن يستطيع أن يفهم الواقع بصورة صحيحة وبالتالي سيفشل في معركة الإصلاح والبناء.

هـ- قد يقول قائل لقد ظلمت العلمانيين والليبراليين العرب كثيرا فبعضهم كان له دور كبير في نشر الثقافة وفي الدفاع عن الديمقراطية والمشاركة

الشعبية وكان لهم دور في الدفاع عن أموال الشعوب.... الخ وأقول هذا صحيح ولكن سلباتهم كثيرة فقد نشروا كثيراً من الفتن الفكرية والسياسية ومن وصل منهم إلى الحكم وطبق اقتناعاته أدى إلى أن تترحم شعوبنا على أيام الاستعمار البريطاني فشرهم وضررهم أكبر بكثير من خيرهم ونفعهم فالليبراليون لا يعرفون الحق من الباطل في قضايا المبادئ والعقائد وبالتالي سيتعاملون بجهل وضياع وتدمير مع كثير من قضايا الواقع والسياسة لأنها أكثر تعقيدا وصعوبة وهم حصان طروادة الذي أدخله أعداؤنا بيننا ووجودهم دليل على نجاح الغزو الفكري والثقافي الأجنبي وأقول وأكرر وبصوت عال ليس عندنا حساسية أو رفض أن نستفيد مما نجح الغرب فيه وخاصة في مجال الديمقراطية والإدارة والتكنولوجيا وغير ذلك ولكن ألف لا للتخلي حتى عن جزء من مبادئنا الإسلامية حتى لو أعطونا كنوز الدنيا ومناصبها ووضعوا الشمس في يميننا والقمر في شمالنا وأذكر كل مسلم بأن اللين والتسامح وحسن الخلق جزء من مبادئنا الإسلامية وهي تحقق كثيراً جداً من الخير والتعاون بين المسلمين وبينهم وبين العالم فنحن بحاجة إلى كثير من اللين وحسن الخلق والحوار واللقاءات والاجتماعات مع من يخالف مبادئنا سواء كان من المسلمين أو من غيرهم.

شبهات البليهي

كتب الأخ العزيز الدكتور ناجي سعود الزيد بتاريخ ١٠ أبريل ٢٠٠٥ مقالا بعنوان "الإسلام الليبرالي" واحتوى المقال على آراء الأستاذ إبراهيم البليهي وشبهات الأستاذ إبراهيم سمعناها مرارا وتكرارا ورد عليها كثير من المسلمين وهي في أغلبها ليست صحيحة ويثيرها أعداء الإسلام والمسلمين كجزء من حربهم الفكرية والسياسية والنفسية وسأحاول أن أورد باختصار شديد على أغلب الآراء التي تم ذكرها من خلال النقاط التالية:-

١- ليس صحيحا أن المسلمين لا يقدمون للعالم سوى القتل والتفجير وقطع الرؤوس فالرؤوس البشرية التي تم قطعها أو قتلها من قبل الولايات المتحدة من المسلمين خلال السنوات الخمس الماضية أضعاف ما قتله المسلمون من متطرفين ومعتدلين خلال الفترة نفسها وقتلت الحضارة الغربية العلمانية من الأوربيين وغيرهم في الحرب العالمية الثانية فقط أكثر من أربعين مليون إنسان هذا غير مئات الآلاف من الفيتناميين ومثلها من الجزائريين وغير ذلك وهناك مليار مسلم لم يقطعوا رأسا واحدا بل لم يقتلوا رجلا واحدا من أعدائنا الظاهرين والمستترين ولو تعمقنا في هذه الشبهة قليلا لاكتشفنا خطأها فكيف لو تعمقنا أكثر؟

٢- الأغلبية الساحقة من المسلمين منبهرون أكثر من اللازم بإنجازات الحضارة الغربية وبالتالي لا يوجد عندنا جمود في الإحساس وضعف في الذوق وهزال في الإدراك كما قال الأستاذ إبراهيم وإذا كان هناك من المسلمين من لم ينبهر فهذا هو الاستثناء لا القاعدة.

٣- لاشك أن هناك انهياراً عقائدياً وكوارث اجتماعية وفساداً أخلاقياً في الغرب ومن الخطأ تقليل هذه الأمور فلا سعادة بلا إيمان صحيح وحياة اجتماعية مستقرة وأخلاق عفيفة فهذه أهم في حياتنا من التكنولوجيا المتطورة والقوة المالية والعسكرية والانحراف الجنسي ليس كصندوق قمامة في قصر جميل بل أكثر من ذلك بكثير ويكفي أن نعرف كم تعاني الزوجة من خيانة زوجها أو العكس حتى نقتنع بأهمية العفاف ووجود إيجابيات أخلاقية في الغرب لا ينفي وجود سلبيات أخلاقية هائلة كالزنى وقطيعة الرحم وعقوق الوالدين والأنانية... الخ إن نسبة عالية من الآباء والأمهات لا يشاهدون أبناءهم الكبار لسنوات طويلة وهذا تخلف اجتماعي شديد وليس انحرافاً بسيطاً.

٤- الصراع على السلطة قضية موجودة قديماً وحديثاً وفي الدول الإسلامية والعلمانية ولكن مما لا شك فيه أنه كلما زاد الإيمان كنا أكثر زهداً في المناصب وأكثر ابتعاداً عن الفتن وتتصارع الدول العلمانية الغربية منذ ثلاثة قرون من أجل السلطة والعلو في الأرض ، ولهذا أشعلت كثير من الحروب الكبيرة والصغيرة فيما بينها وهذه الدول تدعي الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في حين أن الصراع على السلطة عندنا هو في الغالب حركة أفراد أو قبائل وأعراق ليس لديها أنظمة متطورة.

٥- طبق الإسلام في فترات كثيرة من التاريخ في دول وأفراد وليس صحيحاً أنه اقتصر على عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة وأسأل أوروباً وستقول

إن الخلافة العثمانية خلافة إسلامية لأنها دولة تمسكت بكثير من المبادئ الإسلامية وهذا لا ينفي وجود انحرافات فيها وفي غيرها من الدول الإسلامية لأنها دول غير معصومة ولأن الواقع ليس مثاليا وإذا نفينا عنها الإسلام فلننف العلمانية عن الدولة الأمريكية لأنها أبادت الهنود الحمر واستعبدت الأفارقة وألقت قنبلتين ذريتين على اليابان وانتهكت مرارا وتكرارا حقوق الإنسان وسيادة الدول وتمردت على قرارات الأمم المتحدة وغير ذلك.

٦- لا أدري لماذا نعتبر قتل ثلاثة خلفاء راشدين دليلا على ضعف أو فشل للإسلام أو الخلافة الراشدة فالقتل بحد ذاته ليس كارثة أو حتى سلبية تحسب علينا فلكل نظام أعداء حتى الرسل كان لهم أعداء ولو كان بقاء الحاكم حيا هو دليل تقدم لكان المستبدون هم أفضل الحكام وإذا قِيمْنَا عقائد وأخلاق وعدل وانتصارات الخلفاء الراشدين مقارنة بغيرهم من الحكام والحكومات فإنهم أفضل الحكام والحكومات وأرجو أن تذكر اسم حاكم أو أكثر من الدول العلمانية كان في مستوى الإمام علي كرم الله وجهه في علمه وعدله وزهده وتضحياته.

٧- ليست الخلافة الأموية دولة عشيرة بل هي دولة عظمى حققت انتصارات أكثر مما حققت الخلافة الراشدة وأدارت دولة عظمى فيها أعداد كبيرة من الشعوب واللغات والأديان أما الخلافة العثمانية فقد وحدت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي لعدة قرون فلما انهارت مزقتنا الدول الأوربية فجعلتنا أكثر من عشرين دولة وهي دولة عظمى لها إيجابيات كبيرة في العدل والتسامح والعز والانتصارات على دول عظمى كدول أوروبا

وروسيا وغيرها في حين أننا العرب وفي القرن العشرين كله لم نستطع توحيد ربع دولنا بل أن عجزنا العسكري والسياسي والتكنولوجي واضح جدا أمام دولة صغيرة كإسرائيل فكيف تكون الخلافة العثمانية دولة فاشلة وهي دولة عظمى كان يحسب لها ألف حساب؟ باختصار كنا ناجحين جداً والآن نحن فاشلون لأنه لا أحد يحسب لنا حساباً لأننا متفرقون وضائعون وفقراء وإذا كانت الخلافة العثمانية تستغل الإسلام وتتاجر به فأقول أهلاً بهذا الاستغلال إذا كان سيجعلنا دولة عظمى ولكن الحقائق الواقعية تثبت إخلاص وصدق كثير من حكام المسلمين.

٨- ليس صحيحاً أبداً أننا لو تعرضنا لما تعرضت له الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر لفعلنا أكثر مما فعلت فالرسول وأصحابه تعرضوا لأكثر بكثير مما تعرضت له الولايات المتحدة ومع هذا تسامحوا وكانوا أهل عدل ورحمة وليس هذا مجال التفصيل كما أن تسامح صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح - وغيرهما كثير - مع أعدائهما معروف ومشهور وعندما غزونا شعوباً ودولاً فهدفنا كان نشر المبادئ الصحيحة وتحرير الناس من الكفر والضلال والجهل فنحن لا نغزو ولنستولي على النفط أو نعدل خريطة الشرق الأوسط حتى تخدم إسرائيل أو أمريكا ولا نبحث عن أسواق لمنتجاتنا وما أقوله لا ينفي وجود من ينتسبون للإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً ممن لهم أهداف دنيوية ونحن نتمنى اقتصار المقارنة الواقعية على مقارنة المسلمين الملتزمين بالعلمانيين الملتزمين.

٩- تشابه المسلمين في عقائدهم وأفكارهم الرئيسية لا يعني أنهم نسخ مكررة وإذا وصفناهم بذلك فلنقل عن الأطباء أنهم نسخ مكررة لأن لديهم القناعات

نفسها فكلمهم يقولون عن هذه المادة أنها سم وعن تلك أنها دواء.... وهكذا والحقيقة أن تناقض العلمانيين واختلاف نسخهم دليل على ضياعهم وجهلهم لأنهم لم يصلوا إلى الحقائق الفكرية أي لم يصلوا لمعرفة العدل الصحيح والحرية الصحيحة والتوحيد الصحيح إنها والله مأساة علمية أن نفتخر بالاختلاف وأن نعتبر الوصول إلى الحقائق الفكرية تخلفا عقليا وعلميا.

١٠- لا مانع لدينا من استخدام كثير من الآليات الحديثة التي ثبت نجاحها في تحقيق العدل والمساواة والحرية فالحكمة ضالة المؤمن ونحن لسنا ضد كل ما يأتي من الغرب ومشكلتنا كمسلمين ليست عجزا أو نقصا في الآليات أو المفاهيم والمبادئ بل مشكلتنا في النوايا أي درجة إخلاصنا للإسلام فتحميل الإسلام والمسلمين الصادقين مرارة الواقع فيه ظلم كبير لأننا نعرف ما في واقع شعوبنا من عصبية عرقية واتباع للمصالح المالية والشهوات.

١١- أتمنى ألا نضيع جهودنا في ذم الغرب أو مدحه أو في المبالغة في ذكر إيجابياته أو التقليل منها أو في محاكمة التاريخ والواقع ولنبتعد كثيرا عن الجدل وتبادل الاتهامات ولننطلق لنبني دنيانا وأخرتنا فنفكر كيف تطور أنظمتنا السياسية وأوضاعنا الاقتصادية وكيف نبني التعاون بين أبناء الوطن وبين أبناء الأمة وكيف نضع الخطط لتطوير التعليم والبحث العلمي.... الخ وما أقوله هو ما يأمرنا به الإسلام فهل نحن فاعلون؟.

لا تحتكموا إلى الدستور

من الأخطاء الكبيرة جعل الدستور الميزان الوحيد والمرجع الأخير للحق والباطل أو الصواب والخطأ وتعالوا نسلط الأشعة العميقة على الدستور في دولة علمانية تظن أنها متطورة فكريا وعقليا وسنكتشف أحد أكبر عمليات الجهل والضياع في العصر الحديث وإليك الأدلة:

١- تجسد الدساتير العلمانية مبادئ اقتنعت أو آمنت بها أغلبية الشعب أي رأت أنها الحق والصواب والمشكلة أن العلمانية تعتقد أنه لا يوجد حق وصواب (حقائق فكرية) فكل ما هو موجود من مبادئ تحدد العدل والحرية والمساواة ومفاهيم الاقتصاد وغير ذلك هي آراء تحتل الصواب والخطأ فلا يوجد حق بل يوجد اجتهادات وآراء بشرية فالدستور ليس مبادئ صحيحة وحقائق فكرية بل هو اتفاق شعبي وعقد اجتماعي أي هذا ما قرره الشعب لا ما حكم به العقل والعلم والفرق شاسع جدا بين الأمرين وما دام الأمر كذلك فالدستور لا يصلح أن يكون مرجعا علميا وليس ميزانا عقليا بل هو مبادئ تم صناعتها من خلال توازن المصالح والتجارب والعادات والتقاليد والعقائد والمبادئ وسيتم مع مرور السنين تغيير بعض أو كل مواده فهو إذن اتفاق سياسي يمكن تغييره متى ما وجدت "القوة" و"الرغبة" في التغيير وأي مبدأ حتى لو كان شاذًا أو متخلفًا وغير مقنع علميا يمكن قبوله إذا نال قبول أغلبية الشعب وما ينطبق على الدستور ينطبق على القوانين.

٢- الدستور والقوانين هي جزء من حياة الإنسان وبالتالي ستكون مساحة المبادئ والضوابط الدستورية والقانونية محدودة مقارنة بما في الحياة من قضايا اجتماعية وعقائدية واقتصادية وأخلاقية فالعلاقة بين الآباء والأبناء أكبر بكثير من قوانين علمانية محدودة فهناك الاحترام والرعاية والتضحية والحب وصلة الرحم.... الخ فالذي يربطنا بآبائنا وأمهاتنا أكبر بكثير من دستور وقوانين وهذا يفسر تفكك الأسر العلمانية في الغرب ونحن نتحكم فينا مبادئ إسلامية كثيرة تمنعنا حتى أن نقول لو لدينا كلمة أف وما ينطبق على الأسرة ينطبق على الأخلاق والتعامل مع المال والشهوات والمناصب والأصدقاء والأعداء.... الخ فالحياة تحتاج إلى مبادئ صحيحة أكبر بكثير من الدستور والقانون فإذا كان الدستور نابعا من عقيدة ومبادئ صحيحة فهو أمر مقبول أما إذا كان الدستور والقوانين هما كل المبادئ الصحيحة التي تم التوصل إليها فهذه كارثة علمية يصفق لها الجهل ويرفضها العلم والحياة ولم ولن تستطيع القوانين الصحيحة أن تكون بديلا عن العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة والتربية الراقية فما بالك بالقوانين العلمانية التي يختلط فيها الحق بالباطل.

٣- إذا كان عرب الجاهلية يصنعون صنما ثم يعبدونه فإن علمانيين القرن الواحد والعشرين يصنعون دستورا ثم يحتكمون إليه ثم يغيرون بعض موادهم ثم يحتكمون إليه ولن ينتهي هذا المسلسل المكسيكي والتغيير ممكن أن يحدث في كل مواده وإذا كان عرب الجاهلية جاهلين فإنهم أعقل من العلمانيين لأن عرب الجاهلية يعتقدون ويؤمنون بأن الأصنام تضر وتنفع

ويظنون أن هذه حقيقة ولهذا يعبدونها في حين أن العلمانيين لا يؤمنون بأن الدستور حقائق فكرية بل يعتقدون أنه آراء بشرية ومع هذا يحتكمون لها أي أن العلماني غير واثق من الحرية التي تم تحديدها في الدستور وغير واثق من صواب العقوبات بل إنه ليس واثقاً حتى من صواب فصل الدين عن الدولة وبالتالي من الطبيعي أن يكون "الإيمان" والاعتناع بالدستور والقوانين العلمانية ضعيفا وإذا أضفنا إلى ذلك اختلاف العقول البشرية العلمانية في كل شيء فمن الصعب أن تجد علمانياً واحداً مقتنعاً بصواب كل مواد الدستور وإذا تذكرنا أن الدساتير العلمانية تم صناعتها من خلال توازن المصالح والطول الوسط والتنازلات المتبادلة والتصويت وغير ذلك سنقتنع بأن كثيراً من "المبادئ" التي تم الاتفاق عليها لم يقتنع بها كثيرون وبالتالي قد يخالفونها سرا ويعيقون تطبيقها ما استطاعوا وسينتقدونها علنا حتى يتمكنوا من تغييرها مستقبلاً.

٤- كثيراً ما تكون الدساتير عبارة عن جمل عامة تحمل أكثر من تفسير فمثلاً وجود حصانة للحكام أو النواب أو الوزراء يتعارض مع مبدأ المساواة بين المواطنين التي تم ذكرها بالدستور ونجد في أمريكا أن من حق الرئيس الأمريكي قانوناً إبقاء الحصانة على رئيس انتهت مدة ولايته وهذا يتناقض مع المساواة أمام القانون ومن الطبيعي أن يخضع الدستور والقانون للأقوياء لأن الاختراقات للعدل والحرية والمساواة أمر مقبول ويمكن تبريره بمبررات هزيلة من أصحاب النفوذ أو بدواعي الأمن أو المتطلبات لحرب أو غير ذلك وتحاول الدساتير أن ترضي الجميع

وأن تبدو جميلة فهي أهداف وأحلام وردية وتتكلم عن المساواة البشرية ومن يكتبها قد لا يكون مؤمناً بالمساواة التي كتبها ما أقصده أنها ككلام كثير من السياسيين كلام جميل إذا تعمقت فيه لم تجده إلا سراباً فهي تتكلم مثلاً عن "احترام الأديان" فكل الأديان محترمة حتى الباطل منها في حين أن العقل والعلم يقولان حاربوا الأديان الباطلة فهي وثيقة سياسية أكثر منها وثيقة علمية وهي تحاول أن ترضي الناس على حساب الحق والعلم وقديماً قالوا "لو قلت الحق أبغضوك".

٥- يتم في الإسلام الاحتكام إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ويؤمن كل المسلمين "الشعب" أنها حق وهي حقائق فكرية علمية لا يأتيها الباطل من أمامها ولا من خلفها وأمر بها الله سبحانه وتعالى العليم الخبير وهي مبادئ شاملة وعميقة وثابتة لا تتغير وتسمح بوجود اجتهادات وقوانين وضعية لا تتعارض معها فهي ترشد عملية التفكير والعقل والاجتهاد والاستفادة من تجارب الآخرين فإذا تم ترجمة المبادئ الإسلامية الأساسية والاجتهادية في دساتير وقوانين فإن في هذا إبعاد العلم والحق عن التوازنات السياسية أو سيطرة أهل القوة من حكام أو طبقة أو عرق وفي نفس الوقت هناك حسم علمي وابتعاد عن الضبابية والغموض ومجاملة الأديان والعقائد الباطلة وبالتأكيد إن الدساتير الإسلامية التي مرجعيتها قال الله سبحانه وتعالى وقال رسوله ﷺ هي أفضل للبشر من دساتير صنعتها شعوب نعلم أن التناقضات الفكرية بين أفرادها جذرية والدساتير الإسلامية ليست "مثالية" بل هي واقعية تسمح بالتأقلم مع متطلبات الواقع

ودرجة الإيمان واختلافات الشعوب وإذا كانت دساتيرنا إسلامية تنطلق من حقائق إسلامية واجتهادات بشرية تم قبولها من المسلمين أو من يمثلهم من أهل الحل والعقد فإن الالتزام والإيمان بالدستور يصبح كبيرا أما إذا كان الدستور علمانيا فلا شك أن قيمته عند المسلمين أرخص من الورق الذي كتب عليه والمسلمون اليوم بحاجة إلى تبني دساتير إسلامية عصرية تتجسد فيها الشورى الملزمة والمشاركة الشعبية وحقوق الأقليات والحريات السياسية وغير ذلك

٦- كم من دساتير تم صناعتها بأيدي الشعب بصورة صحيحة؟ أقول إن الغالبية الساحقة تم كتابتها من نظام حكم أو أغلبية عرقية أو قوة طبقية أو حتى من استعمار أجنبي وبالتالي فعملية صناعة الدستور لا تتم من خلال بيئة حرة فالقول بأن عملية تبني الدساتير تتم بشفافية وحرية أمر فيه كثير جدا من التزوير وخداع النفس وتحكم الشعوب العلمانية إلى دساتير كتبت قبل خمسين عاما أو مائة أو أكثر وهذا يعني أن غالبية الشعب إن لم يكن كله لم يكتب الدستور بل فرض عليه وتعمل الدساتير أمر تغييرها يتطلب عادة الثلثين مما يوجد صعوبة في الوصول إلى تغيير مادة واحدة مما يعني أن الشعب مقيد بأراء الآباء والأجداد ولو قتل العلمانيون من شروط التغيير لظهر للقريب والبعيد حجم التناقض الفكري وغيره في المجتمعات العلمانية فليس لديهم مبادئ علمية يحتكمون لها ولهذا يتمسكون بالدستور على سلبياته حتى لا تنفرط الأوضاع في حين أننا في دولنا الإسلامية نستطيع أن نعيش بلا دستور لأن مبادئنا الإسلامية تحدد لنا كثير من الأمور.

٧- يطالب العلمانيون والليبراليون العرب بالالتزام بالدستور والقوانين ولكن بعضهم يشرب الخمر مع أن قوانين دولهم تمنع ذلك وتم التوصل لهذه القوانين ببعض هذه الدول من خلال التصويت الشعبي ومن بديهيات الديمقراطية أن عليك الالتزام بحكم الشعب حتى لو لم تكن مقتنعا به أي نحن أمام كفر بالديمقراطية وجريمة قانونية ومصيبة أخلاقية قال الشاعر العربي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

في البدء كان الحوار

للأخ العزيز الدكتور خلدون حسن النقيب كتاب بعنوان "في البدء كان الحوار" تطرق فيه إلى مواضيع كثيرة أحب أن أعلق على بعضها سريعاً وأتوقف عند موضوع "العلمانية والأصولية وأزمة الحرية" لمناقشته بشيء من التفصيل وأذكر في البداية شكري وتقديري للدكتور خلدون لموضوعيته وصراحته وتعمقه ورجوعه للمراجع العلمية وهو أمر لا نجده عند كثير من المثقفين العرب وكان مروري السريع من خلال النقاط التالية:-

١- من الضروري أن يتم تركيز الأضواء العلمية العميقة على العقائد والمبادئ والأيدولوجيات وتحديد الحق من الباطل فيها ومن أين على الإنسان أن يأخذ مبادئه؟ فبدون اتخاذ هوية فكرية صحيحة ومحددة لا يمكن التعامل مع الواقع بما فيه من صراع أو غيره تعاملًا سليمًا فالعلم قبل العمل بمعنى أن الإجابات العقائدية الصحيحة ستجعلنا نتعامل مع الواقع بصورة صحيحة قال الإمام علي رضي الله عنه "اعرف الحق تعرف أهله" والحق عقائد ومبادئ (علم) وأهله وأعمالهم واقع (عمل).

٢- أتمنى أن ينشغل مثقفوننا بالحاضر والمستقبل وما فيهما من مبادئ وواقع ومشاكل لا بالماضي والتاريخ وما حدث في أوروبا أو في الدولة العثمانية أو الفتنة بعد مقتل عثمان أو غير ذلك قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (١٣٤) سورة البقرة.

٣- الابتعاد عن أقوال وآراء الفلاسفة ومفكري الغرب والمفكرين المسلمين والابتعاد كذلك عن استخدام مصطلحات الفلسفة والعلوم الاجتماعية الغربية لأنها تحتمل الصواب والخطأ ولأنها تعقيد فلسفي وفكري لا نحتاج إليه فالأمور العلمية والواقعية أهم من القيل والقال والآراء والنظريات والجزئيات الضائعة فلننتقل إلى العلم الصحيح والعمل المفيد فكثيراً مما يعتبره الناس علماً ليس بعلم فيما مكاننا أن نبني دولة على أسس صحيحة دون أن نستعين بمفكر أو فيلسوف غربي وهذا ما فعلناه مراراً فنحن نعرف العدل من الظلم والتوحيد من الشرك والحرية من الفوضى.

٤- أرجو أن يبتعد مثقفونا عن العموميات وخط واقع بلد مسلم بآخر فهناك اختلافات في جذور وواقع كل بلد من حيث الإتجاهات الفكرية والاجتهادية والملاحم المعيشية والسياسية والعرقية والتاريخية وبالتالي فالحلول العلمية ستختلف والبرامج الإصلاحية ستتنوع في أهدافها وأساليبها وهذا لا يعني غياب بعض القضايا المشتركة بين بلادنا.

أما تعليقي على فصل "العلمانية والأصولية وأزمة الحرية" فهو من خلال النقاط التالية:-

١- قال الدكتور خلدون "عندما يتبع المرء الجدال الدائر منذ أمد بين الأصولية والعلمانية والذي يجد ترجمته المحلية في الكويت، في محاولة الأصوليين تعديل المادة الثانية من الدستور (بحصر مصادر التشريع في الشريعة الإسلامية) لا بد أن يدرك أن القضية المحورية في هذا الجدال هي قضية الحرية والعقلانية، فهي، إذا قضية ليست بالجديدة، بل ذات سوابق في

تاريخنا الطويل، إذا أن الإطار المرجعي لهذا القضية هو فصل ما هو ديني عما هو سياسي أو فصل ما هو عقدي عما هو عقلائي، أي أن الأمر يتصل في النهاية، بمصدر المعرفة وترجيح عنصر العقيدة أو عنصر العقل في معرفتنا الموضوعية بالعالم ” وأقول إن الأصوليين بمعنى الإسلاميين والمسلمين هم قوم اتبعوا عقولهم في التفكير في القضايا الكبرى كوجود الله سبحانه وتعالى وثبت لديهم بالأدلة العلمية القطعية وجود الله سبحانه وتعالى وهو أمر أدركه كثير جدا من العقول البشرية من غير المسلمين وعقول المسلمين ثبت لديها بالأدلة العلمية القطعية أن محمد بن عبدالله رسول من الله وصدق الرسل ووجودهم ثبت عند اليهود والمسيحيين وغيرهم وبالتالي ثبت بالعقل السليم أن الإسلام كعقائد وشريعة هو حقائق فكرية أي إنه علم وبالتالي فالالتزام به هو التزام بالعقل السليم أما العلمانيين فاستخدموا عقولهم بطريقة جزئية ولم يبدووا في تسلسل صحيح للقضايا الكبرى الفكرية فضلت عقولهم ووصلوا إلى عقائد ومبادئ متناقضة كالرأسمالية والشيوعية وغيرهما واختلفوا في تحديد معاني الحرية والعدل والمساواة واعترفوا صراحة أن ما وصلوا له هو آراء وليست حقائق ولهذا يقولون الحقائق المطلقة لا يمكن الوصول إليها ولهذا فإنهم يؤمنون أن ”الحقائق“ نسبية ويؤمنون بأن ”الحق خرافة“ ولهذا يحتكمون في مبادئهم للتصويت الشعبي على مستوى الدولة والآراء الشخصية على مستوى الفرد وهذا دليل جهلهم وعدم احتكامهم للعقل السليم فكل منهم يحتكم إلى عقله لا إلى العقل السليم ولهذا تأتي مفاهيمهم وقوانينهم متناقضة جزريا حتى في

عقوبة القاتل أو توزيع الميراث أو الحقوق والواجبات الزوجية فالإسلام قال أن مصدر المعرفة العقل والعلمانية توهم الناس أنها تحتكم إلى العقل والأمر ليس كذلك والإسلام وصل إلى معاني محددة لقضية الحرية في حين أن العلمانية وصلت إلى معاني متناقضة تحسمها من خلال ديمقراطية غربية أو تصويت حزب حاكم شيوعي أو قرار حكومي وعندما يعارض المسلمون الحرية الزائدة التي يطالب بها العلمانيون الرأسماليون فليس معنى هذا أنهم ضد الحرية بل لأن الزيادة ليست أصلاً جزءاً من الحرية وهذا ما أثبتته العقل السليم «فالزائد أخو الناقص كما يقول المثل العربي» بمعنى أنه لو عارض الأب ابنه الصغير في زيادة الأكل عما هو عقلاني فهذا ليس ضد مبدأ الأكل وليس ظمناً وكذلك الأمر في الدواء فلأمور مقاييسها الصحيحة إذا زادت أو نقصت أضرت فالمقابلة ليست بين الحرية والأصولية والمقابلة ليست بين أن يكون مصدر المعرفة العقل أو العقيدة أما قضية فصل ما هو ديني عما هو سياسي فهو معالجة خاطئة للموضوع فالإسلام والرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وغير ذلك هي مبادئ فكرية وإذا ثبت أن الشيوعية صحيحة فلنطبقها في السياسة وحياتنا الاجتماعية وإذا ثبت أنها خاطئة فلنرفضها في كل المجالات كمبدأ وهذا لا يعني أن كل ما تقوله الشيوعية خطأ وبالتالي المطالبة بفصل ما هو ديني (إسلامي) عما هو سياسي هو مبدأ علماني ليس له أبداً دليل علمي قطعي على صحته فهو رد فعل لانحراف المسيحية ورجالها.

٢- أقول للدكتور خلدون القول بأن ليس في الإسلام نظام حكم محدد لا

يعني أن الحكم والسياسة أمر دنيوي يقرره المسلمون كما يشاءون بل في الإسلام أسس لنظام الحكم مثل المساواة بين المسلمين والبيعة وضرورة الالتزام بتطبيق الشريعة وغير ذلك ويبقى دور المسلمين الدنيوي كبير في الاجتهادات بما يتناسب مع أوضاع كل بلد من حيث طبيعة نظام الشورى وآلية اختيار الحكم والحكومة وغير ذلك فهذه أمور يعرفها المسلمون ولم يخترعها العلمانيون العرب كما أن مبدأ «الشعب مصدر السلطات» مبدأ إسلامي ضمن ضوابط الإسلام قال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ وليس من حق العلمانيين أن يتهموا المسلمين أن للحاكم الإسلامي سلطات مطلقة فهذا أمر يتناقض مع بديهيات الإسلام والدولة الإسلامية دولة مدنية وليست دينية بالمفهوم الغربي لهذه الكلمة فالخلاف هو بين هل المرجعية للدولة إسلامية أو علمانية. والقرآن ليس دستوراً ولكنه كتاب سماوي ولا يتعلق فقط بعلاقة المؤمن بربه بل هو المرجع مع السنة للدستور والقوانين ومواقف الحاكم والحكومات والقوى الشعبية والحياة الاجتماعية والشخصية والرفض لهذه المرجعية كفر لا شك فيه وهذه المرجعية تجعل الحياة والدولة والسياسة خاضعة لحقائق علمية أثبتتها العقل السليم فتحقق الشمولية والتكامل بين القوانين وبين فئات المجتمع ومن خلال المرجعية الإسلامية نعلم أن من حق الشعب اختيار الحاكم وعزله إذا تطلب الأمر ونعرف حدود طاعة الحاكم فإذا كانت الشعوب بعيدة عن الإسلام وتقبل من يحكمها بلا بيعة وقبول منها فهذا أمر لا يسأل عنه الإسلام أو المسلمون الملتمزمون بل يسأل عنه الشعب وجبته وائتماؤه إلى شهواته وعصبياته

ومصالحه وكم من شعب من شعوبنا ينطبق عليه قول ”دينهم دينارهم“ .
٣- ليس صحيحاً أن علماءنا المخلصين موالون لحكام ظلمة ورضاهم في بعض الأحيان عن حكومات مستبدة هو نوع من الاجتهاد لأنهم يقارنون بين واقع سيئ وواقع أكثر سوءاً كما أن تصوير كثير من الدول الإسلامية كالعثمانية أو غيرها أنها ظالمة ومستبدة وفاشلة فيه ظلم كثير خاصة وأن هناك صراعا علمانيا غربيا مع جبهة إسلامية ووطنية كان ولا زال منذ أربعة قرون فالقبول بانحرافات وطنية شيء طبيعي لأن الخوف هو من خطر وشر أكبر إذا سيطر الغرب وهذا ما حدث في كثير من دولنا فلنبتعد عن المثالية والأمني الكبيرة فالخلافة العثمانية أرحم وأعدل وأصلح للأمة مائة مرة من دولة استعمارية علمانية غربية تريد تحطيم إسلامنا وسلب إرادتنا السياسية واستنزاف أموالنا وإذلالنا وجزء أساسي من وسائل الغرب في غزونا هو إقناع بعض مثقفينا بأن الإسلام يعني الأصولية والاستبداد وتحطيم حريات الرأي والديمقراطية والدستور والقطاع الخاص والأمر ليس كذلك أبدا ولا مشكلة عندنا مع ضرورة الإصلاح السياسي ولكن لم ولن نرضى أن يدخل معه الكفر والزندقة والفساد الأخلاقي والضياع العلماني.

٤- الواقع العربي لم يصنعه الإسلام والمسلمون الواعون فقط بل شاركهم في ذلك العصبية العرقية والمصالح والجهل العلماني وفساد المفسدين والمسلمين المتطرفين والجامدين وبالتالي علينا أن ندرك أن الإصلاح يتطلب زيادة الإيمان في نفوس المسلمين وأن يلتزموا بالإسلام وعلى كل

حال فإن واقع كل شعب هو فعلا ما يستحقه وما زرعه بيده من علم وعمل وإخلاص أو من جهل وكسل ونفاق ونحن نعرف أن النوايا والإخلاص فيهما ضعف شديد حتى قال أحد المثقفين العرب ”إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح“ أما أعمالنا فهي متواضعة وكذلك رصيدنا من العلم الشرعي والعلم التقني والعلم الإداري.... الخ وعملية الإصلاح تبدأ بإصلاح أنفسنا في كل هذه المجالات قال تعالى: ﴿إِن اللّٰه لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (١١) سورة الرعد وما أقوله نشاهده بعيوننا وبعقولنا في كل فرد مسلم واع ملتزم بدينه فهو ذو عقائد راقية وأخلاق فاضلة ونوايا صافية وأعمال طيبة في حياته الوظيفية والشخصية.

الحوار الإسلامي الليبرالي (١)

كتب الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي في جريدة السياسة بتاريخ ٧ مايو ٢٠٠٥ مقالاً بعنوان "الحوار المستحيل" وأظن أن مقاله تعليق على دعوة الدكتور عبد الحميد الأنصاري إلى تقارب إسلامي ليبرالي ولأنني من المقتنعين بضرورة الحوار الإسلامي الليبرالي أقول الحوار ليس مستحيلاً ونجاحه يتطلب أموراً منها ما يلي:-

١- أن يدار الحوار من جهة محايدة من المستقلين من ذوي العدل والموضوعية والثقافة والخبرة ممن لا ينتمون إلى تنظيم إسلامي أو ليبرالي ومن الضروري أن يتم تخطيط وإدارة وتنظيم الحوار بصورة صحيحة وهذا وللأسف ما يفتقده كثير من السياسيين لأنهم يتعاملون مع الواقع السياسي دون قدرة على فهم صحيح للحدود الفكرية للإسلام والعلمانية والليبرالية فتخطيط الحوار وإدارته تتطلب مفكرين من أمثال الدكتور أحمد كمال أبو المجد والأستاذ فهمي هويدي والدكتور عمر الأشقر والدكتور عبد الحميد الأنصاري ويمكن اعتبار هؤلاء مستشارين لإجراء مثل هذا الحوار ولنتذكر أنه حوار فكري وليس سياسياً.

٢- من الضروري جداً إبعاد المتطرفين من الإسلاميين والليبراليين فهناك كثيرون من الصعب الحوار معهم فلو تم اقتراح مئة اسم من الإسلاميين ومثلهم من الليبراليين فإن نصفهم على الأقل غير جديرين بأن يكونوا من أهل الحوار وليس من العقل والواقعية والأنصاف أن نضيع أوقات ومستقبل

الشعب والأمة في إقناع المتطرفين من كلا الاتجاهين والأهم من ذلك أن المتطرفين ليسوا الممثلين الحقيقيين لأغلبية الإسلاميين والليبراليين بل هم سبب الفتن والاختلاف والتنافر والصراع فأصحاب الانحرافات الفكرية الشديدة يجب استبعادهم وكذلك أصحاب المواصفات الشخصية السلبية كالغضب والحدة والجدل فلا بد من الرفق واللين والحكمة والصبر.

٣- يتطلب الحوار الإسلامي الليبرالي تحديداً صحيحاً وشاملاً وعميقاً ودقيقاً للمصطلحات والمبادئ الفكرية وخاصة ما يتعلق منها بالإسلام والليبرالية والعلمانية والديمقراطية والاجتهاد والعقل والدولة المدنية.... الخ فعندنا مأساة فكرية لأننا نجد لليبرالية معاني كثيرة متناقضة وكذلك للإسلام والإيمان فضبط المصطلحات والمعاني بديهية علمية وعدم تحديدها يعني الضياع من أول الطريق وسيؤدي الحوار العلمي إن شاء الله إلى إلغاء الاختلافات الوهمية الناتجة عن فهم خاطئ أو معلومات غير صحيحة وسيؤدي إن شاء الله إلى إيجاد وحدة فكرية أو على الأقل إلى تقارب فكري حول كثير من القضايا الفكرية مما يقلل كثيراً من حدة الخلاف الحالية فلنسنع إلى إحداث تطور فكري محلي وعربي في القضايا التي تهم الدول والقوى السياسية والأفراد.

يتبع،

الحوار الإسلامي الليبرالي (٢)

ذكرت في المقال السابق بعض الأسس المطلوبة لحوار إسلامي ليبرالي ناجح يقلل من حدة الاختلاف والصراع الموجودة حالياً ويخرجنا كذلك من الفوضى الحالية حيث الحوارات السطحية والجزئية والمتقطعة والسريعة بل أغلب ما يوجد ليس حوار بل تهجم واتهام وسخرية وصراع سياسي. ولا شك أن الاتفاق الفكري حول القضايا الأساسية هو الذي يوحد العقول والقلوب قال تعالى: ﴿وَألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (٦٣) سورة الأنفال. وتعالوا الآن لنناقش آراء الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي بهدف بيان إمكانية الوصول إلى اتفاق في كثير من القضايا بين الإسلاميين والليبراليين وقبل أن أبدأ في الحوار يهمني أن أذكر أن لي معرفة بالدكتور أحمد منذ خمسة وعشرين عاماً وهو عزيز علي شخصياً وأتفق معه في بعض آرائه وأختلف معه في بعضها وخاصة ما كتب في السنين الأخيرة وأرجو أن يتقبل الأخ أبو أنور بصدور ربح آرائي التي تخالفه لأنه رجل صادق وصريح ويبحث عن الحق والصواب وإليكم تعليقي على ما كتب:-

١- يرى الدكتور أحمد أن هناك اختلافات جذرية بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه الليبرالي فالإسلام الليبرالي يقبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمساواة بين جميع البشر والديمقراطية والقانون الوضعي والدستور المدني وحرية الرأي بدون قيود دينية والحريات الدينية

والحريات الفكرية في حين أن الاتجاه الإسلامي (الديني) يرفض كل هذا وبالتالي فلا فائدة من الحوار بينهما . وأقول ميزان القبول والرفض ليس هو الموقف من وثيقة أو فكرة أو مبدأ أو غير ذلك فالميزان الوحيد والصحيح علميا وعقليا هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية فإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مقبولا من القرآن والسنة قبلناه وإذا كان أغلبه مقبولا وكان بعضه مرفوضا قبلنا ما هو مقبول ورفضنا المرفوض وكذلك الأمر بالنسبة للديمقراطية وغيرها قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (٢٥) سورة الحديد فنحن كمسلمين هذا ميزاننا للأمر فما يقبله القرآن والسنة قبلناه وما يعارضهما رفضناه وما لا يتعارض معهما حكمنا فيه اجتهاداتنا وآراءنا أما الاحتجاج بالآراء الفقهية كما يقول الدكتور أحمد بأن الجماعات الدينية تزن الأمور بها لا بالدين أقول إننا نتعامل مع اجتهادات العلماء بتقدير كبير وبأخذ ما هو صحيح ونرفض ما هو خاطئ لأن اجتهاداتهم تحتل الصواب والخطأ ولكن لا شك أن العلماء هم ورثة الأنبياء وهم أصحاب الاختصاص في علم الإسلام قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ولو أعطينا لهم العلم الفكري كما نعطي للأطباء العلم الطبي لاستراح الناس وإذا كان الدكتور أحمد يعتبر كل اجتهادات العلماء خاطئة فعليه أن يعتبر اجتهادات مفكري العالم من العلمانيين وغيرهم شديدة الخطأ لأن عجزهم الفكري واضح جدا في كل القضايا الفكرية الأساسية ابتداء من وجود الله سبحانه وتعالى

وصفاته وأسمائه ومرورا بقضايا الحرية والعدل وانتهاء بالموقف من الإجهاض والزواج المثلي وتناقضهم وعجزهم العقلي حدث لأنهم يتناقشون بلا ميزان ولا مرجعية فكرية صحيحة وأدلتهم ظنية لا قطعية قال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (٨) سورة الحج فالكتب السماوية للعقل كالنور للعيون فالعيون بلا نور لا ترى حتى لو كانت سليمة مئة بالمئة وكذلك العقل بلا نور وهداية من الله سيضل ولن يرى كثيراً من الحقائق الفكرية الأساسية والاجتهادية ولا يسعى الإسلام لتوحيد كل مبادئ وأفكار المسلمين بل توحيدهم على ما جاء في القرآن والسنة فالاختلافات الاجتهادية مقبولة وقد اختلف الصحابة واختلف علماء المسلمين وتختلف الجماعات الإسلامية والدول الإسلامية في مواقفها من حجم المشاركة الشعبية وشكل الشورى ومشاركة المرأة بالسياسة والموقف من كثير من الأحداث السياسية وغير ذلك وليس صحيحاً ما قاله الدكتور أحمد بأنه لم يسمع عن حوار سلفي إخواني وحوار سلفي - تحريري بل حدث هذا كثيراً وراجع أشرطة الشيخ ناصر الدين الألباني رحمة الله على سبيل المثال وعموماً اختلافات الجماعات الإسلامية المعتدلة في أغلبها اختلافات اجتهادية تتسع لها دائرة الإسلام في حين أننا بالحوار الإسلامي الليبرالي نريد أن يكون الجميع أو على الأقل الأغلبية في دائرة الإسلام أي نصحح ونرفض الانحرافات الفكرية الجذرية.

يتبع،

الحوار الإسلامي الليبرالي (٣)

سنكمل اليوم جانباً مما ذكره الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي فأقول:-

١- ليس صحيحاً أن الإسلاميين يرفضون الديمقراطية إذا كان معناها الاحتكام للأغلبية فيما لا نص شرعي فيه بدليل أن الإسلاميين في أغلب الدول العربية يطالبون بالديمقراطية والدكتور أحمد يرى غالباً لوتين اثنين فقط إما أبيض كالديمقراطية الغربية وإما غيرها فيعتبره أسود وليس بديمقراطية وأرجو أن يتواضع فكراً ويراجع كتابات الدكتور أحمد كمال أبو المجد وهو مفكر متخصص بل مرجع للقضايا الفكرية وسيجد أن جوهر الديمقراطية مقبول بل مطلوب إسلامياً لأنه جزء لا يتجزأ من الإسلام كما أن كتاب الدكتور عبد الحميد الأنصاري والذي عنوانه "الشورى وأثرها في الديمقراطية" يثبت أن الشورى الملزمة هي فكر إسلامي أصيل وأن الديمقراطية والعلمانية أمران منفصلان لا كما يعتقد الدكتور أحمد أن لا ديمقراطية بلا علمانية.

٢- ليس صحيح أن الإسلام ضد الدستور المدني وضد القانون الوضعي فالدولة الإسلامية دولة مدنية وليست دينية بالمفهوم العربي للدولة الدينية فالدولة الإسلامية لا يحكمها علماء الإسلام بل من يختاره الشعب وهي دولة يحدد دستورها الشعب لا الحاكم أو الحكومة ويمكن عزل الحاكم إذا انحرف والقوانين الوضعية مقبولة إذا كان لا يعارضها نص شرعي فهناك الكثير من القوانين الوضعية والاجتهادات البشرية في القوانين والأهداف والخطط والسياسات.... الخ.

٣- الدولة الإسلامية ليست ضد الحريات الدينية للأديان السماوية وغير السماوية وليس معنى الحرية الدينية بناء الكنائس والمعابد بلا حدود ولا ضوابط وليس معناها السماح بحرية التهجم والسخرية فحرية الاعتقاد والعبادة مكفولة وأي قيد ليس موجوداً في الكتاب والسنة يمكن رفضه وهل يوجد مسيحي في مصر أو بلاد الشام لا يستطيع أن يعتقد ما يشاء أو يواجه بما يمنعه من الذهاب إلى الكنيسة؟ وأنا هنا أتكلم عن تاريخ امتد لخمسة عشر قرناً فلا توجد مشكلة واقعية في هذا الموضوع وعموماً فمبدأ وجود قيود إسلامية أو علمانية على الحريات الدينية أو الفكرية شيء طبيعي فالحرية المطلقة فوضى ففي أمريكا يحاكم من يستخدم عبارات عنصرية ولا يقال أن هذا من حرية الرأي ومن حقنا أن نسأل لماذا القيود الإسلامية مرفوضة والقيود العلمانية مقبولة؟

٥- كل حرية عاقلة ومفيدة هي حرية مقبولة فلا مانع من نقد الحاكم والحكومة والخطط والأهداف والقوانين وغير ذلك والحوار العلمي بين المسلمين وغيرهم مطلوب فقد حاور الرسول صلى الله عليه وسلم كفار قريش واليهود وغيرهم وليس من حرية الرأي أن يقول الإنسان ما يشاء وبأي أسلوب خاصة عندما يتكلم في جريدة أو تلفاز وليتذكر الأخ الدكتور أحمد أن تأثير بعض الكلمات أشد بكثير من المتفجرات وهذا نراه في الأمور الشخصية فما بالك بما هو أهم كالدين والوطن.

٦- يفرق الإسلام بين الناس فلا يستوي المسلم والكافر وتفرق العلمانية الأمريكية بين الأمريكي وغيره فترفض قوانينها دخول غير الأمريكيين إلى

أمريكا إلا ضمن ضوابط هذا مع إيمانها بالمساواة البشرية ولا يتساوى الرئيس الأمريكي في المحاكمة مع بقية الأمريكيين وسعت الشيوعية للمساواة المطلقة بين البشر حتى في دخلهم ومساكنهم وباءت بالفشل الكبير ولكنها لم تساو بين الشيوعي والرأسمالي وكذلك فعلت أمريكا مع الشيوعيين الأمريكيين خاصة في الحرب الباردة وكانت بريطانيا كدولة رأسمالية علمانية تتجسس على أحد رؤساء وزرائها في السبعينات لأن له ميولاً يسارية كما جاء في كتاب ألفه أحد رجال المخابرات البريطانية والتفرقة بين الناس بسبب عقائدهم وعلاقتهم بالله أو اجتهاداتهم في الدراسة أو العمل أمر صحيح لأن هذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى فمن يختار الإيمان والعدل لا يجوز أن يتساوى مع من يختار الكفر أو الظلم وهذا لا يعني أن التفرقة الدينية تدخل في كل المجالات بل مجالاتها محدودة ومشكلة التفرقة مشكلة وهمية إلى درجة كبيرة على المستوى الفكري والواقعي لأن ٩٥٪ من شعوبنا وأمتنا مسلمين وأتمنى أن نتعمق في المصطلحات التي ترفعها العلمانية والرأسمالية كالحرية والعدل والمساواة وسنكتشف أن الأهداف العلمية والشعارات لا مكان لها في عالم الفكر والواقع بمعنى أن الشيوعية كانت أكثر حرصاً من الرأسمالية على المساواة بين البشر ومع هذا فالمساواة التي تدعو لها مساواة غير صحيحة والرأسمالية العلمانية حريصة على تطبيق الحرية على الأقل على شعبها ومع هذا فالحرية التي تدافع عنها حرية خاطئة لأنها أكثر من الحرية الصحيحة فالجرعة الزائدة من الدواء تضر ولا تنفع مع أنه دواء.

يتبع

الحوار الإسلامي الليبرالي (٤)

قال الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادى: "لا بد أن نكون صادقين في أنه لا توجد ديمقراطية ولا نظام ديمقراطي بدون علمانية، بمعنى فصل الدين عن الدولة وحيث لا مرجعية للتشريع سوى الدستور فقط ومن يسعى إلى حل توفيقى سيضطر إلى التلفيق والكذب على النفس" وسأحاول أن أعلق على ما قاله من خلال الآتي:-

١- نعم يا أخي العزيز لا يوجد حل توفيقى بين الإسلام وبين العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة فالخلاف الفكري جذري لأنه خلاف بين الإيمان والكفر فإذا كان الليبرالي علمانيا ويفهم العلمانية بصورة صحيحة فلا يمكن الاتفاق معه ولكن ما أعتقده أن أغلبية الليبراليين العرب ليسوا علمانيين بل مسلمين يريدون الديمقراطية وحرية الرأي والانتخابات وحقوق الإنسان وهذه لا مشكلة عند أغلبية الإسلاميين في قبولها لأنها إما جزء من الإسلام كالشورى الملزمة وإما أمر يحقق مصالح الناس وبالتالي مطلوبة إسلامياً ولا يعني هذا أن التشابه تام بين الديمقراطية الأمريكية والديمقراطية الإسلامية.

٢- نعم يا أخي العزيز لا يوجد حل توفيقى بين الإسلام والعلمانية وليس هدف الحوار الإسلامي الليبرالي على المستوى الفكري إيجاد حل توفيقى بل لا بد من الحسم الفكري لأننا سنتبع الحقائق الفكرية والتي نعتقد أن الحوار الصحيح سيثبت أنها مجسدة في الإسلام قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك

روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم” (٥٢) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴿٥٣﴾ سورة الزخرف، والحسم الفكري سيوصلنا إلى المبادئ الإسلامية النقية ويزيل عنها التطرف والجمود والانغلاق والتقليد والتعصب المذهبي وسيوصلنا إلى إعادة الاهتمام بقضايا الشورى وحرية الرأي وسنقبل ما في حضارة الغرب من إيجابيات أما الاختلافات الفكرية الاجتهادية فستبقى وسنقبلها بروح رياضية.

٢- قال الدكتور أحمد ”وحيث لا مرجعية إلا الدستور فقط“ وأقول من وضع الدستور أليسوا بشر فلماذا يقيد الدستور الأجيال القادمة أو الحالية فالفكر العلماني يصنع فكراً ثم يعده كمن يصنع صنماً ثم يعده ويصبح الدستور بهذا المفهوم شيئاً مقدساً مع أنه صناعة بشرية والعجيب أن العلمانيين يرفضون الخضوع إلى آيات الله وكتبه ورسله مع أنها العلم الفكري والحق واليقين ويعطون الدساتير التي هي وضعية واجتهادية وطنية المرجعية ”العلمية“ أي هي الحق الذي علينا الالتزام به حتى لو كتبت قبل ثلاثمائة عام كما في أمريكا فهم نقلوا المرجعية من العقل إلى الدستور وأحياناً يغيرون بعض مواد فكيه يحتكمون إلى مواد قابلة للتغيير فعقلهم يصنع ميزاناً ثم يحتكم إليه ثم يغير الميزان ثم يحتكم إليه ثم يغيره وهكذا والطريف أنهم يعتبرون هذا التخبط تطوراً فكرياً.

١- لو تعمقنا قليلاً في المرجعية الفكرية للعلمانية الرأسمالية لقلنا نعم قال العلم المادي أن بعض ما تقوله الكنيسة في ”القضايا المادية“ باطل وخطأ

ولكن العلم المادي لم يقل يوماً ما ان فصل الدين عن الدولة حق فلم يقل ذلك علم الكيمياء ولا علم الفيزياء ولا علم الطب كما أن وجود انحرافات عن العلم المادي أو الفكري في المسيحية ليس دليلاً على صواب العلمانية أي أن العلمانية قائمة على إثبات خطأ الكنيسة والمسيحية لا على تقديم أدلة عقلية قطعية تثبت صواب العلمانية والرأسمالية وميزان العلمانية هو التصويت على مستوى الدولة والرأي الشخصي على مستوى الفرد أي افعل يا إنسان ما تراه حقاً وصواباً وكل علماني يناقض أصحابه على المستوى الفكري في عقائده ومبادئه وأخلاقه ومتى كان التناقض والضياع علماً إنه الجهل بعينه ومتى كان التصويت مرجعاً "علمياً" في القضايا الفكرية الأساسية والتصويت في الحقيقة دليل عجز العقل العلماني عن الوصول إلى الحق والعلمانية قائمة على التصويت لا العقل كما تزعم.

٢- الإسلام هو العلم الفكري وأقول هل الإسلام علم (حقائق فكرية)؟ أم هو جهل (أساطير وخرافات)؟ فإذا كان علماً فلماذا انفصله عن الدولة؟ وإذا كان علماً ولكن لا علاقة له بالدولة والسياسة فلنساءل علماء الإسلام هل هذا صحيح؟ وإذا قالوا لا فلنلتزم به وإذا كانت هناك جماعات إسلامية متطرفة (خوارج) فالواجب أن نكون نحن أصحاب الإمام على كرم الله وجهه لا أصحاب العلمانية ولنساءل العلماء هل أمر الله سبحانه وتعالى بفصل الدين أو القرآن أو الشريعة عن الدولة والجواب معروف وجاء بلسان عربي مبين في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨)﴾ إنهم لن يغنوا عنك

من الله شيئاً وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (١٩) سورة الجاثية وقال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ (٥٠) سورة المائدة ولنتذكر ان فصل الدين عن الدولة هو فصل للقرآن عن الدولة وهذا معناه أن مبادئ القرآن ستسبب الضرر للدولة والشعب وهذا يناقض بديهيات الإيمان ولهذا فالعلمانية ساقطة فكرياً ومرفوضة شعبياً عند المسلمين والعقل يقول لنفصل الزندقة والكفر والفسق عن الدولة ومبادئها وقوانينها لا أن نفصل كتاب الله وسنة رسوله. انتهى

أمور نتفق مع العلمانيين فيها

هناك أمور نتفق فيها مع العلمانيين وكذلك مع الليبراليين العرب ومن هذه الأمور:-

١- لو طالب العلمانيون والليبراليون بالديمقراطية بمعنى حكم الأغلبية وحقوق الأقلية وحرية الرأي العاقلة لصفقت لهم الجماهير ولكنهم خلطوا مطالباتهم هذه بأن تكون الديمقراطية أعلى من الإسلام وأن تتساوى الأقليات الدينية في كل شئ مع الأغلبية "الساحقة" المسلمة وأن تفتح حرية الرأي حتى للزنادقة والملاحدة والفاسقين بل أصبحوا كأنهم الناطقين الرسميين باسم هؤلاء وهذا تطرف أفقدهم القواعد الشعبية وتأييد علماء الإسلام.

٢- لو طالب العلمانيون بدولة مدنية يحكمها الشعب لا علماء الإسلام لأخبرناهم أنه لا يوجد في الإسلام دولة دينية يحكمها علماء الإسلام وهم بدورهم يتكلمون بالنيابة عن الله ويحكمون حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية فالدولة الإسلامية دولة مدنية يحكمها من يختاره الشعب ودور العلماء أشبه ما يكون بدور الخبراء الدستوريين فلا يفرضون شيئاً على الحكومة أو المجلس النيابي أو القضاء أو الصحافة ولكنهم يطالبون هؤلاء بالالتزام بالكتاب والسنة قدر ما يستطيعون وهذا أمر مطلوب من كل مسلم لأنه من بديهيات الإصلاح فعلماء الإسلام لا يتحكمون في الحكومة بل يطيعونها فيما لا يعارض الإسلام لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

والغريب أن البعض يطالب الحكومات بالالتزام بالدستور والقوانين ولا يطالبها بالالتزام بأمر الله سبحانه وتعالى.

٣- نتفق مع العلمانيين في إبعاد الأديان المشوهة عن الحكم والسياسة والدولة لأنها في اعتقادنا أديان تم تشويهاها عبر التاريخ حتى لو كانت أدياناً سماوية كالسيحية واليهودية ونختلف معهم في أن الإسلام النقي دين مشوه بل هو دين صحيح وبالتالي يجب أن يكون المنبع العلمي الفكري للحكم والسياسة والعقائد والأخلاق.... الخ ونطالب بإبعاد العلمانية ومدارسها المختلفة الشيوعية والرأسمالية والنازية والاشتراكية والعنصرية عن الدولة والسياسة لأنها عقائد قائمة على الجهل.

٤- نتفق مع العلمانيين بأن هناك جماعات إسلامية متطرفة وبعضها إرهابي وهناك جماعات متشددة تعيش على التكفير والتنفير من دين الله وهي تشوه صورة الإسلام والمسلمين ولا تلتزم بما في مبادئ الإسلام من ضوابط للتكفير أو الجهاد أو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ونطالب بإبعادها ليس فقط عن السياسة بل حتى عن الحياة الاجتماعية وعن التكلم باسم الإسلام ولكن لا نمنعها من إبداء آرائها وهذا ما فعله الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج قبل أن يرفعوا السلاح.

٥- نتفق مع العلمانيين أنه ليس من حق أحد فرض الاجتهادات الإسلامية الفكرية أو السياسية على الشعوب المسلمة فهذا الحق ليس لعلماء الإسلام ولا للجماعات الإسلامية وأن الشعوب حرة في أن تختار ما تشاء من اجتهادات وما أكثر الاجتهادات الإسلامية وما أكثر تنوعها وخاصة في

السياسة والاقتصاد . ويمكن القول أنه لو طالب العلمانيون بذلك لحققوا إبعاد الدين عن أجزاء كبيرة من السياسة والاقتصاد ولكنهم أخطأوا عندما طالبوا بإبعاد الدين نفسه لا الاجتهاد أي أخطأوا عندما طالبوا بإبعاد ما هو معلوم من الدين أي العقائد الواضحة والآيات والأحاديث الصحيحة وأقول كثيراً من الاجتهادات الإسلامية حولها اختلاف بين المسلمين ويجب أن يحسم ما يتطلب الحسم منها من خلال الاحتكام إلى العقل والواقع والشعب والصلاحيات الدستورية والقانونية والإدارية والسياسية الخ.

٦- نتفق مع العلمانيين على ضرورة الانطلاق إلى العمل والخروج من دائرة الكلام والجدل حيث إن الأمة تواجه تخلفاً علمياً وتعليمياً وإدارياً وتجارياً وطبيبياً وفي وسائل النقل وفي كمية وجودة الخدمات الخ فالتعامل مع الواقع والأحداث والمشاكل هو من صميم الإسلام فالإسلام دين عملي بعكس العلمانية فهي فلسفية المنبع تعيش على الجدل والنقد والكلام والآراء ولو ركز العلمانيون والليبراليون جهودهم على جبهات العمل لا الكلام لحققوا نجاحاً كبيراً ولما اصطدموا بالإسلام والإسلاميين المعتدلين.

صفقة مع الليبراليين

قال الأخ العزيز بدر الناشي أمين عام الحركة الدستورية ” وماذا يستطيع أن يقدم الليبراليون حتى نعقد صفقة معهم؟“ وتعليقي على ما قاله هو فيما يلي:-

١- بناء مجتمع ودولة هو قضية بحاجة إلى حشد أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب وعلينا أن ننظر إلى الإصلاح كقضية شاملة فالإصلاح أكبر من الإصلاح السياسي وأكبر من صفقات حزبية لتحقيق أهداف وطنية أو حزبية فالقضية الأهم هي حشد أكبر عدد ممكن من المخلصين الواعين ضمن حركة وطنية قوية تحقق الإصلاح الشامل ولدى الليبراليين كثير من المخلصين الواعين وبدون توحيد الصفوف لن يتحقق إلا إنجازات محدودة وسيزيد الفساد أكثر وأكثر.

٢- أنا من المقتنعين بأن الليبراليين اتجاههم ضعيف لانه قائم على قاعدة فكرية مشوهة وضبابية وضعيفة ولا يستطيع أقوى عشرة قياديين فيه أو حتى أحدهم ضمان نجاحه في انتخابات مجلس الأمة وما حدث في انتخابات يوليو ٢٠٠٣ يثبت ذلك . ولكن مع ذلك أقول أن هناك كثيرا من الخير إن شاء الله في كثير من الليبراليين فكثير منهم ذوو نوايا صادقة وكثير منهم لديهم خبرات سياسية واقتصادية وثقافية جيدة وبإمكانهم أن يحققوا الكثير لو تخلصوا من تشوهات فكرية ومن متطرفين ليبراليين انسلخوا من انتمائهم للإسلام أو أعلنوا ولاءهم لأمريكا فأغلبية الليبراليين ينتمون للإسلام والوطن والأمة وهناك قلة متطرفة والمطلوب هو التخلص من كل المتطرفين سواء كانوا إسلاميين أو ليبراليين.

٣- تحتاج الكويت والأمة إلى كثير جدا من الاعتدال والتشاور والتسامح واللين والحوارات والعلاقات الشخصية والشفافية الفكرية وحسن الظن لأن التحديات كبيرة والأعداء كثيرون والتخلف التكنولوجي والاقتصادي والإداري والسياسي كبير فالمعركة معركة وجود وحرية لا معركة أحزاب سياسية وانتخابات نيابية. والمفروض أننا وصلنا الآن إلى الحد الأدنى من الوعي والخبرة السياسية التي تجعلنا ندرك مرارة واقعنا وخطورة ما سيأتي إذا لم نجتهد في تجميع صفوف الشعب والأمة.

٤- أعلم أن لدى كل من الإسلاميين والليبراليين تجارب مريرة مع الطرف الآخر ولكن الماضي ليس بالضرورة عقبة في بناء المستقبل وهناك وسائل لحل الخلافات الفكرية والسياسية سواء كانت جذرية أو اجتهادية من خلال الاحتكام إلى العلم وأهله وهناك الكثير من الأهداف المشتركة يمكن الاتفاق عليها بسهولة كالإصلاح الإداري والتعليمي وغير ذلك.

٥- أتمنى أن تكون المرحلة المقبلة هي مرحلة الاعتدال وأن يقوم كل من الإسلاميين والليبراليين بإبعاد المتطرفين والاجتهادات المتطرفة فلنر إسلاميين ينتقدون متطرفين إسلاميين وكذلك مع الليبراليين فمن الخطأ أن نوقف قافلة الوطن لإقناع متطرف لا يريد أن يقتنع أو لأخذ موافقة من ملحد لا نحتاج إليها لتسير القافلة خاصة أن أغلبية الشعب ليست مختلفة في دينها أو في أهدافها الرئيسية وكلما اتجهنا للاعتدال أكثر أمكن أن نلتقي مع الآخرين ونسير معا وقد جربنا التفرق والصراع ورأينا عجزنا أمام ما يحدث في وطننا وأمتنا من أحداث فهل نسلك طريق التعاون والاتفاق أم نبقى ننتظر أن يغير الله ما بنا ونحن لم نغير ما بأنفسنا من مبادئ ونوايا!.

العلمانية تحارب الله

رفض القاضي الفدرالي الأمريكي جون.ي. جونز الثالث في ولاية بنسلفانيا طلب متدينين مسيحيين بتدريس نظرية التصميم الذكي في المدارس الحكومية ونظرية التصميم الذكي تقول ”إن المخلوقات كائنات معقدة لا يمكن تفسيرها بنظرية التطور فلا بد من وجود قوى خارقة خلقتها“ ويريد أولياء الأمور المتدينين تدريس مدرسي العلوم لهذه النظرية وتدريس الطلبة وجود فراغات في نظرية التطور لداروين واستشهدوا بأسئلة علماء فشلت نظرية داروين في إعطاء أجوبة عنها والمحزن أن هؤلاء تقدموا بطلبهم على أن نظرية التصميم الذكي ليست مبنية على الدين لأنه مرفوض دستوريا تدريس الدين ولهذا استخدموا في طلبهم وجود مصمم ذكي وليس الله سبحانه وتعالى وهذا يثبت أن العلمانية قطعت شوطا كبيرا في محاربة الله سبحانه وتعالى وقال القاضي إن نظرية التصميم الذكي ذات منبع ديني وفي هذا انتهاك للدستور الذي يفصل الكنيسة عن الدولة وقال أيضا إن القول بتعارض نظرية داروين مع الاعتقاد الديني خاطئ تماما وتعليقي على هذه القضية هو في النقاط التالية:-

١- حسم الخلاف بين العلمانيين والمؤمنين بالله سبحانه وتعالى يكون بالتركيز على القضايا الأساسية أي إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وصدق الأنبياء وليس بالحوار حول القضايا الفرعية أو الواقعية أو مناهج التعليم لأن مثل هذا النقاش عادة ما يصعب حسمه لصالح أحد الفريقين لأنه

لا توجد معايير متفق عليها تحسم الاختلاف ذا الجذور العقائدية فالمطلوب أن نعرف أين يكون النقاش؟ ونبتعد عن الجدل والجزئيات.

٢- أفهم أن تنادي العلمانية بفصل الكنيسة عن الدولة أو حتى فصل الدين عن الدولة أما أن يتم فصل المسيحية عن التعليم الحكومي وفصل كل المبادئ المسيحية فهذه حرب على المسيحية والدين كأَن الدولة ومؤسساتها ملك فقط للعلمانيين فأين الحرية؟ أليس هذا استبداداً علمانياً واضحاً؟ أليس المتوقع من العلمانيين أن يدرسوا في مدارسهم كل النظريات الدينية والعلمانية ويتركوا للطلبة أن يؤمنوا بما شاءوا إن العلمانية تقول نريد إنهاء سيطرة الكنيسة ورجال الدين على الدولة ولم تقل إنهاء المسيحية وإبعاد الناس عنها والظاهر أن الزنادقة من العلمانيين هم الذين يسيطرون على أمريكا والغريب أن رئيس الدولة بوش الابن مسيحي متدين ولكن الدولة متطرفة في زندقته.

٣- من المؤكد أن المحكمة تعتقد أن نظرية التصميم الذكي غير علمية وما يدرس في مادة العلوم يجب أن يكون أموراً ثبت علميتها والرد على هذا أن وجود الخلق أكبر دليل علمي على وجود الخالق وأثبت العلم المادي بأدلة كثيرة أن هناك كائنات لم تتطور منذ مائة وأربعين مليون سنة وأكثر وأثبت العلم المادي أن هذا الكون عظيم ومنظم وأن الإنسان مخلوق راق جداً وأرقى من الطائرات والحاسبات الإلكترونية وأعد أنواع التكنولوجيا وشهد الأنبياء الصادقون وهم أفضل البشر على أن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق ونتمنى فعلاً ألا تدرس الجامعات إلا العلم لأنها إذا فعلت فلن تدرس

نظريات الملاحظة ولن تدرس العلمانية ومفاهيمها عن العدل والحرية
والمساواة ولن تدرس الفلسفة فهذه الأمور ليست من العلم المادي وليست
من العلم الفكري فالعلمانية بمدارسها المختلفة من رأسمالية واشتراكية
وشيوعية هي باعتراف أهلها آراء وليست (علماء) فلماذا يتم تدريسها في
المدارس والجامعات.

٤- المهمة الأولى للعقل البشري هو تمييز الحق عن الباطل في مجال العقائد
والمبادئ وهذه المهمة أهم وأكبر بكثير من استخدامه في تحليل أو ضاع
سياسية أو اكتشاف حقائق مادية أو تطوير منتجات صناعية أو إشغال
العقل بطرق جمع المال أو الوصول للمناصب أو إشباع الشهوات وأوهمت
العلمانية الناس أن العقائد قضايا هامشية أو شخصية أو غيبية (ما وراء
الطبيعة) أو تتعلق بالآخرة لا الدنيا وهذا هروب وجهل وعجز فالعلمانية
قائمة على خرافة "لا أحد يملك الحقائق الفكرية" أي كلنا جهلاء وكل ما
لدينا من إثباتات على عقائدنا ومبادئنا الدينية والعلمانية هي أدلة غير
مقبولة علمياً وأقول لماذا يتمسك العلمانيون بالعلمانية مع اعترافهم بعدم
وجود ما يثبت صوابها والمضحك أن العلمانية قائمة على أدلة صحيحة أو
غير صحيحة تثبت بها خطأ المبادئ الأخرى وليس على أدلة تثبت صوابها
بمعنى أنك إذا أثبت أن فلانا فاسد فليس هذا دليلاً على أنك صالح.

٥- يقول العقل البشري أن هناك خالقاً أو صانعاً لكل شيء منظم فالطائرة
بها خزان للوقود وعجلات للإقلاع والهبوط ومحركات وتكييف وأجهزة
كهربائية.... الخ والمجنون أو شديد الجهل هو الذي يقول أنها تكونت
صدفة ونحن نشاهد بأعيننا وعقولنا أرضاً وبشراً وكائنات وشمساً

ونجوماً ومجرات.... الخ تسير في نظام دقيق فلا بد أن يكون هناك خالق لذلك وهو الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ (١١) سورة لقمان، وقال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون﴾ (٣٦) سورة الطور فالآيات القرآنية تخاطب عقولنا وتقول لا يمكن أن يخلق الكون نفسه بنفسه ولم يخلق الكافرون السماوات والأرض فلا بد إذا من خالق والأغلبية الساحقة من البشر قديماً وحديثاً مقتنعة بعقولها بأنه يوجد خالق عظيم وأعداد الزنادقة كانت ولا زالت قليلة والإيمان بوجود خالق ليست قضية فطرية أو وراثية بل قضية عقلية ويكفي أن يتأمل الإنسان في نفسه وجسده ويتعمق في معرفة ما يحدث في جسمه من تفاعلات كيميائية وما به من أعضاء ويسأل أهل الطب والأحياء حتى يقتنع بأنه أمام مخلوق عظيم فما بالك لو تأمل في ملايين الكائنات وعلم الفلك وعلم الكيمياء وعلم الفيزياء.... الخ وإذا علم أن كل علماء الأرض عاجزون حتى يومنا هذا عن خلق الذباب قال تعالى: ﴿يأيتها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ (٧٤) سورة الحج والعجيب قول أحد الفلاسفة ”لا توجد أدلة تثبت وجود خالق ولا توجد أدلة تنفي وجود خالق“ وأقول هذا ليس بكلام عاقل ناهيك عن عالم وهل توجد أدلة علمية مادية أقوى وأكثر من هذه المخلوقات وإذا

أضفنا إلى ذلك أدلة صدق الأنبياء وهي المعجزات التي رآها البشر على مدى تاريخهم وأخرها معجزة القرآن هذه المعجزة التي لا زالت تتحدى البشر إلى يومنا هذا والمعجزات تثبت صدق الأنبياء وتثبت أيضا وجود خالق جعلها معجزات لأن الأنبياء بشر غير قادرين على إحياء الموتى أو شق البحر أو تأليف قرآن ولو تأملنا في شريعة الإسلام لوجدناها معجزة في أحكامها وتكاملها وشمولها وواقعيتها ومرونتها.... الخ وأقول إن المشكلة ليست في ضعف الأدلة أبدا بل في عناد ومكابرة الزنادقة والملحدين (١) والتشكيك في أدلة أوضح من الشمس في الصيف في بلد صحراوي أمر ليس مقبولا وهو أمر ليس جديداً فقد رفض الكفار على مدى التاريخ معجزات الأنبياء الواضحة فاتهموا هذا النبي بأنه مجنون والآخر بأنه ساحر والثالث بأنه كذاب.... الخ وكانوا يشوهون الحقائق بالجدل والشبهات وإثارة قضايا أخرى فيقولون إذا كنت أيها النبي صادقاً فأحي من مات من آبائنا وأجدادنا أو أرنا الله سبحانه وتعالى وهكذا والفرق أن كفار عصرنا لديهم شهادات علمية ويحاولون أن يقنعوا الناس أن العلم المادي ينفي أو على الأقل يشكك في وجود الله وصدق الأنبياء ولناخذ شبهة واحدة من الشبهات التي يثيرها بعض الزنادقة حيث يقولون إن وجود خالق وراء كل مخلوق أمر مقبول عقليا ولكن علينا أن نقول أيضا أن لهذا الخالق من خلقه فالعملية سوف تستمر إلى ما لا نهاية وهذا أمر لا يقبله العقل وأقول إن اختلافنا معكم هو هل يوجد خالق لهذا

(١) يمكن الرجوع لكتابي ”عجز العقل العلماني“ لمزيد من التفصيل

الكون؟ فإذا أعلنتم أن دليلنا على وجود خالق قوى وصحيح فإن الأمر ليس إلى ما لا نهاية لأن الخالق اخبرنا أنه خالق لم يخلقه أحد وأخبرنا أن علم البشر واقتناعهم ومنطقهم محدود وهناك أسئلة لا يعرفون إجابتها مثل كيف يعلم الله ما في أنفسنا؟ ومتى سنموت؟ وماذا يحدث في العالم غدا؟ ومتى عاش أول إنسان على الأرض؟ وأين عاش؟ وعلى الإنسان أن يدرك عجز عقله وأن يلتزم بالحقائق الواضحة ولا يتبع الشبهات والظنون التي يثيرها الزنادقة والملاحدة.

٦- إذا كان من المتوقع أن تكون معلومات الفلاسفة عن عظمة الخلق محدودة لجهل كثير منهم بحقائق العلم المادي في علم الأحياء وعلم الطب وعلم الفلك... الخ فإن الغريب أن نجد إنكار الخالق يأتي من بعض العلماء الماديين المتخصصين بالجينات أو الفيزياء... الخ فمثلاً نجد عالماً متخصصاً مثل ريتشارد دوكنز وهو حاصل على جائزة نوبل في الجينات وهو علم حديث يتكلم عن أصل الحياة وأن الجين ناتج من الانفجار النووي الأول ويقول لا يوجد خالق والرد على هذا أن ما يقوله هو نظرية ورأي وليس حقيقة علمية عليها أدلة مادية واضحة وإذا كان هذا العالم يتكلم عن جينات في جسم الإنسان أو الحيوان أي عن واقع ملموس حالي فكيف يصل من خلال ذلك إلى التكلم عن أصل الإنسان والمخلوقات أي أمر حدث قبل آلاف السنين أي عليه أن يتكلم عن أنواع الجينات والعلاقة بينها... الخ فهذا هو الأمر الذي يعرفه فعلماء المادة يتكلمون في أبحاثهم ومؤتمراتهم العلمية عن أشياء تثبتتها التجربة والمشاهدة والاستنتاج وهذا ما يعتبرونه علماً أما النظريات والآراء التي ليس لها أدلة علمية مادية فليست علماً باختصار

نحن نقبل كل ما يقوله العلم المادي ولكننا لا نقبل آراء ونظريات لم يقلها العلم المادي حتى لو قالها بعض علماء المادة خاصة وأن هناك غيرهم من علماء المادة يعارضونها بشدة وريتشارد دوكنز ليس عالماً في الفلك وليس عالماً في الكيمياء ولا الجيولوجيا ولا الطاقة ولا مجالات علمية كثيرة حتى في علم الأحياء فما يجهله في علوم المادة أكثر بالآلاف المرات مما يعلمه والأرض بما فيها جزء صغير جداً من هذا الكون فكيف يعتبر أبحاثه في الجينات وهي أصغر من dna والذي هو جزء من خلية أوصلته إلى أنه لا يوجد خالق.

٧- الهدف الذي يسعى له الزنادقة والجهلاء من علمانيين وغيرهم من خلال التشكيك بوجود الله سبحانه وتعالى والقول باستحالة معرفة الدين الصحيح هو إيجاد العذر لهم في الابتعاد عن الله وكتبه ورساله وتبني فصل الدين عن الدولة والاحتكام إلى آراء الشعب في القضايا العامة وآراء الفرد في القضايا الشخصية فالقضية سياسية وليست علمية ولهذا صفق الشيوعيون لنظرية دارون وحملوها ما لم تقل وباختصار العلم المادي برئ مما ينسبه له الزنادقة ويرفض العقل السليم الكذب والغش والتزوير وتأكدوا أنه إذا كانت الأدلة المادية والفكرية الواضحة التي تثبت وجود الله وصدق الأنبياء مرفوضة أو ضعيفة فإن الأدلة التي تستند عليها العلمانية في إثبات صوابها أضعف بكثير فلماذا يتمسكون بها ويدافعون عنها ويقولون ستحقق الخير والعدل والحرية والسعادة للبشر ومع أن العلمانية تقول إنها لا تحارب الدين إلا أنها تحاول بكل وسيلة إثارة الشك في الأديان السماوية فتجدها تثير قضايا وجود الله وصدق الأنبياء وتشكك

في الإنجازات العظيمة للمؤمنين والمسلمين القديمة والحديثة وتشكك في نواياهم وتدافع عن النظريات المخالفة لما تقول الرسالات السماوية في مجال أصل الإنسان أو ما يناسبه من تشريع وهي تفعل ذلك لأنه إذا ثبت أن هناك ديناً صحيحاً فيجب أن تلتزم به الدولة والسياسة والأفراد أي أن فصل الدين عن الدولة وهو العمود الفقري للعلمانية سيثبت بطلانه.

٨- يجب أن نعرف أن رصيدنا من العلم المادي محدود مهما حققنا من تقدم فعلم كل علماء الأرض عاجز عن خلق ذبابة واحدة وعاجز عن إحياء ميت مات قبل دقائق قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وليس صحيح أن الإنسان أصبح يتحكم في حياته أو الكون ويجب أن نعرف أن الغرور العقلي العلمي مقبرة كبيرة فالماء الذي نشربه لم يصنعه الإنسان بل صنعه الله سبحانه وتعالى ولو أوقف الله الأمطار لهلك مليارات البشر ولو رفع الله الأوكسجين إلى طبقات الجو العليا لمات البشر كلهم خلال دقائق ولنعلم أن الإنسان ليس هو الذي يزرع النباتات في الحقيقة بل هو يأخذ ببعض الأسباب المادية من وضع البذور وتسميد التربة وسقيها بالماء أما نمو الأغصان والأوراق والثمار والحبوب فهو بيد الله سبحانه وتعالى ولا شك أنه كلما زاد علم الإنسان كلما تواضع وكانت ولا زالت مساحة الجهل في عقولنا هي السائدة بمعنى أنه ما نجهله أكثر بكثير مما نعلم فالغرور بما لدينا من عقول أو علم أو شهادات خطأ قاتل وضعفنا كبشر واضح جداً عندما نمرض وعندما تواجهنا المصائب كالموت والمشاكل الاجتماعية قال تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾.

أوهام التطور الفكري

تدعي العلمانية أن الظلام الدامس والجهل والظلم كانوا سائدين في عالم البشر حتى أشرقت شمس العلمانية وأنقذت البشر وهذا أمر غير صحيح فالتطور في العلم المادي كان موجودا وتدرجيا فالزراعة كانت في تطور وكذلك وسائل الري وصناعة السفن وبناء المساكن والكنائس والمساجد والحصون والأهرامات وكانت هناك صناعة الحرير وطريق الحرير..... الخ وصحيح أن العلمانية شجعت العلم المادي ولكن شجعه بدرجة أكبر التنافس الاستعماري والقومي والحروب والتنافس الاقتصادي بين الشركات كما حدث في القرن العشرين وهذا أدى إلى قفزات كبيرة في العلم المادي وإذا تكلمنا عن العلم الفكري فسنجد الحقائق التالية:-

١- إن الاختلاف حول العقائد والمبادئ الصحيحة أي حول الإيمان والكفر ومعاني العدل والظلم والحرية والاستبداد والحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية..... الخ هو أمر كان موجودا منذ وجود الإنسان وهذا موجود في كتب الفلسفة القديمة وكتب الأديان السماوية وكتب الملحدون والزنادقة وكانت هناك كتب راقية كثيرة وحوارات فكرية قال الأستاذ هنتر ميد ” وهكذا فإن المبتدئين سواء كانوا من الواثقين أم من غير الواثقين بأنفسهم يكتشفون عادة أنهم ليسوا وحيدون في تفكيرهم إذ أنهم سرعان ما يعلمون أنه لا جديد - إلا القليل جدا - تحت شمس الفلسفة ولا بد أن تمر بالمرء لحظة هائلة قد تملكه فرحة طاغية أو خيبة أمل عميقة عندما يكتشف

أنه شريك في الفكر لأفلاطون أو باركلي أو سبينوزا“ (١). وهذه المواضع لا زالت تناقش حتى يومنا هذا وبنفس الأدلة المؤيدة والمعارضة فالإيمان بالله واتباع رسله كان ولا زال تقدما فكريا والعكس مع الكفر والزندقة فالمؤمن القديم لم يكن أبدا إنسانا متخلفا فكريا بدليل أنه كان راقيا في عقائده وأخلاقه وتعامله ولا زال الأنبياء أفضل البشر وكنا ولا زلنا نعتبر المؤمنين من أصحاب الرسل من أفضل البشر وكان تقدمهم في العلم الفكري والالتزام معا وكانت هناك دول عادلة وأخرى ظالمة وسلام وحروب وكانت ولا زالت عقائد البشر متناقضة ولو كانت البشر قد تطورت فكريا بالعلمانية الرأسمالية لما وجدت عقائد دينية في عصرنا هذا وكذلك لما وجدت الشيوعية والاشتراكية والوجودية وغير ذلك من عقائد علمانية متخلفة أكثر من الرأسمالية.

٢- إذا أزال نظام حكم نظام حكم فمن الطبيعي أن يتهمه بالظلم والفساد والاستبداد.... الخ وما أكثر التزوير في التاريخ خاصة إذا كان كتبه الأعداء فما بالك إذا أزال فكر فكراً آخرًا وفعلت العلمانية ذلك مع المسيحية وغيرها فأوهمت الناس أن ما كان قبلها في أوروبا هو ظلام وتخلف مع أن الأوربيين إلى اليوم يعتبرون عيسى ﷺ أفضل البشر في أخلاقه ومبادئه ولا يعتبرون أحدا من مفكري العلمانية أو قاداتهم السياسيين أو غيرهم أفضل منه هذا غير تقديرهم الأول لأرسطو وأفلاطون وسقراط وغيرهم ممن جاءوا قبل العلمانية بألف عام ولا زالوا يدرسون آراءهم

(١) ص ١١ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها الأستاذ هنتر ميد ترجمة د فؤاد زكريا.

إلى يومنا هذا وأقروا بعض كتب الفلاسفة القدماء وعلماء الأديان السماوية ستجدون علما وثقافة وأفكاراً وكان كثير منهم أرقى بكثير من أصحاب شهادات الدكتوراه في عصرنا هذا ومن الظلم الاعتماد على أقوال العلمانية فيهم واسألوا كثيراً من كبار العلمانيين الغربيين هل قرأتم كتب ابن القيم وما رأيكم فيما كتبه أفلاطون أو سقراط فابن القيم مثلاً ألف أكثر من أربعين كتاباً فقد ألف في التوحيد والعبادة والسعادة والسياسة والإصلاح والجهاد والطب وعلم الحيوان وكثير من العلماء بذلوا جهوداً عظيمة في طلب العلم وفي تدريسه بل بعضهم كان يسافر لسنوات طويلة في ظل ظروف صعبة طلباً للعلم وبعد كل هذا يتهم هؤلاء وغيرهم أنهم متخلفون فكرياً.

٣- إذا كان هناك فلاسفة ومفكرون من أمثال فرانسيس بيكون وفولتير دافعوا عن حرية الإنسان وأوجدوا حقوقاً له وطالبوا بالمساواة البشرية فلا شك أن هذا تقدم إذا قارناه بالفكر المسيحي السائد في أوربا بالعصور الوسطى وبالفكر الإقطاعي المستبد ولكنه ليس تقدماً إذا قارناه بالمسيحية الأصلية لأنها أرقى منه ونحن كمسلمين نعرف أن الإنسان حر وأنه ليس عبداً قبل خمسة عشر قرناً وأن لا فرق بين أبيض وأسود وفكرنا الإسلامي حرر الإنسان من الخرافات والأصنام والأديان المشوهة وحرره من العصبية العرقية وحرره من الشهوات وأمره ببر الوالدين وحرره من الخمر والمخدرات وحتى التدخين وعلمنا كيف نحقق الاستقرار الأسري ونتحكم بانفعالاتنا وغير ذلك كثير وليس هذا مجال ذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت ما أقول ويكفي هنا ذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عندما ظلم ابن الوالي المسلم عمرو بن العاص - رجلاً قبطياً "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" وإذا كان الأوربيون يجهلون وصولنا للحقائق الفكرية وأن شمس الفكر الراقى قد أشرقت مرات كثيرة مع كل نبي مرسل فإن هذه مشكلتهم وعليهم ألا يحاولوا إقناع الناس بجهلهم والطريف أن الأوربيين يظنون أنهم العالم كله وأن تاريخهم هو تاريخ العالم وهذا جهل واضح لأنهم على مدى التاريخ وإلى يومنا هذا لا يشكلون حتى سدس سكان العالم وتقوم العلمانية بتجاهل أو تقزيم المستوى الفكري للفلاسفة القدماء والكتب السماوية وعلماء الإسلام والمسيحية حتى يظن الناس أنها أرقى فكراً.

٤- إذا استطعنا أن نحيد التقدم التكنولوجي والإداري الغربي عن موضوعنا سنجد أن الفكر العلماني الغربي متطور بدرجة كبيرة في مجال الحريات والمشاركة الشعبية وحقوق الإنسان وسنجد أنه متخلف جداً في مجال العقائد والحياة الاجتماعية فلا يوجد أي فكر علماني لا راقياً ولا متخلفاً يبين ملامح علاقتنا بالله ولماذا خلقنا؟ وغير ذلك فتجد العلماني المسيحي والعلماني الهندوسي والعلماني الزنديق والعلماني البوذي.... الخ ولا يعتبرون هذا تخلفاً وضياعاً بل يعدونه تنوعاً وتسامحاً أما في مجال الحياة الاجتماعية ففكرهم يقول ليفعل كل فرد ما يقتنع به أما ما يتم تحديده قانوناً فيختلف من دولة علمانية إلى أخرى وهذا يثبت أنهم لم يصلوا إلى الحق وهذا دليل قاطع على التخلف وعلى أن الرصيد الفكري للعلمانية محدود جداً ولا يعتبرون ما وصلوا له حقائق بل آراء يمكن تغييرها والفكر

الإسلامي لديه رصيد كبير من الحقائق العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فهو فكر شمولي وهذه ميزة بحد ذاتها ودليل على تطور فكري ولكن العلمانية تعتبر الشمولية متصادمة مع حرية العقل ومتناقضة مع اختلاف أحوال البشر والدول وهذا ليس صحيحاً لأن هناك مساحات كبيرة للاجتهاد العقلي في الإسلام.

٥- كثرة الفلاسفة والمفكرين والكتب والجامعات وكثرة المدارس الفلسفية العلمانية منذ أظلمت الدنيا بأوهام العلمانية ليست دليل تطور فكري بل دليل جهل وتخلف لأنه لا يوجد تراكم وبناء مرتفع بل يوجد تناقض واختلاف وهدم وجدل فكل مدرسة فكرية تلعن أختها فما يوجد هو خلط للحق بالباطل والصواب بالخطأ فهذه المدرسة تركز على الماديات والأخرى على الروحانيات والثالثة على الأخلاق والرابعة على المصلحة والخامسة على الانتماء العرقي وهكذا وإذا سألت هذا الفيلسوف أو ذاك المفكر من أين أتيت بهذا؟ لقال من عقلي وهذا العقل المجرد ليس هو المنبع للفكر الصحيح فالفكر يحده الله لنا سبحانه وتعالى وواجب العقل أن يوصلنا لله ورسله لا أن يصنع فكراً.

٦- الفكر هو الحقائق الفكرية وليس هو الاجتهادات وهو المبادئ الصحيحة وليس الأدوات والأشكال والأساليب فلم يكن مثلاً ممكناً في الماضي جعل شعب يتكون من عشرة ملايين يشارك في اختيار الحاكم ولكن هذا أصبح ممكناً في العصر الحديث كما أن رصيدنا من معرفة وسائل محاربة التعصب العرقي قد زادت فهذا تطور في الوسائل والأدوات وليس في الفكر كما أن التطور في العلوم المادية ليس تطوراً فكرياً بل تطوراً مادياً.

الليبرالية سراب

يحتاج من يطلق على نفسه كلمة ليبرالي أن يتعمق في العقائد والأحكام أي المبادئ حتى يقتنع أن الليبرالية سراب وإيكم بعض الأدلة:-

١- من الخطأ أن يظن الليبراليون أنهم أهل العقل وأن الآخرين ليسوا بأهله لأن الآخرين من رأسماليين أو شيوعيين أو مسلمين أو غيرهم أقتنعهم عقولهم بأن مبادئهم صحيحة ويستخدمون العقل في الاجتهاد في الفكر والواقع والسياسة والاقتصاد كما أن من بديهيات العقل أن لكل البشر الطبيعيين عقول.

٢- مما يثبت أن الليبرالية سراب هو أن الليبراليين مختلفين جذريا في عقائدهم وأخلاقهم وأهدافهم السياسية واقتناعاتهم الاجتماعية وآرائهم في الإصلاح ومعاني الحرية والحقوق الزوجية فما يجمعهم هو مساحة صغيرة من الأهداف العامة وبعض المبادئ ويجمعهم الاختلاف مع الاتجاه الإسلامي أو الإسلام أو المسيحية أو نظام الحكم أو غير ذلك. ومثل هذا التجمع هزيل لأنه ضعيف فكريا أو رد فعل بل إن نقاط الالتقاء بين الإسلام والرأسمالية العلمانية أكثر من نقاط الالتقاء بين الليبراليين أنفسهم. وتناقض الليبراليين واضح فتجد هذا ليبرالياً سياسياً ومحافظاً اجتماعياً والآخر ليبرالياً اجتماعياً ومحافظاً سياسياً والثالث ليبرالياً سياسياً وليبرالياً اجتماعياً بل تجد تحت مظلة الليبرالية من هو معروف بشيوعيته أو اشتراكيته أو رأسماليته أو فساده الأخلاقي أو تعصبه القومي

أو الوطني أو غير ذلك كل هؤلاء ليبراليون ولهذا اضطر بعض الليبراليين أن يقولوا إن ليبراليتي تعنى كذا وكذا وهذا يعني أن المطلوب أن نتعرف على ما يقصده كل ليبرالي من مبادئ واقتناعات وهذا أمر غير مقبول فكرياً فالمبادئ ليست فردية ولهذا لا نستغرب عندما تجد ليبرالياً يدافع عن الأغنياء وليبرالياً آخر يكره الأغنياء وتجد منهم من يؤيد أمريكا ومنهم من يقف ضد أمريكا.... الخ فالتناقض الليبرالي يثبت أن الليبرالية أشبه ما تكون ببيت العنكبوت.

٣- كلمة حرية كلمة جميلة ولكن ليس من الحرية الصحيحة أن يتخلى الرجل عن مسؤولياته وواجباته نحو أسرته وليس من حرية الطالب عدم الالتزام بالدوام أو التكمم بالفصل أو حتى الصلاة بالفصل مع أنها عبادة وهناك أنواع كثيرة من الحرية فهناك الحرية الإسلامية والحرية الرأسمالية والحرية الشيوعية.... الخ فالحرية ليست شيئاً قائماً بذاته، فالذي يظن أن الحرية مبدأ مستقل أو مظلة فكرية أو سياسية يمكن أن يتجمع تحتها الناس هو إنسان واهم سواء كانت هذه المظلة تشمل المعاني الجميلة فقط أو القبيحة أو كليهما معا.

٤- يمكن وصف الليبرالية بأنها لا تزيد عن "سوق عكاظ" أو زاوية الهاید بارك في لندن فهي منبر للحوار والنقاش والجدل ويمكن إضافة بعض المبادئ لها وهذا يعني أنها لا تصلح مظلة يجتمع تحتها المخلصون ولا تصلح أن تكون مبادئ لفرد ناهيك عن حزب أو دولة فالمبادئ تشمل جوانب متنوعة وكثيرة في حياتنا فهي تحدد علاقتنا مع الله سبحانه

وتعالى ومع الرسل ومع الحق ومع الباطل ومع أعرافنا ومع انفعالاتنا وشهواتنا وعلاقاتنا الزوجية والاجتماعية وتعاملنا مع المال والأفراح والمصائب.... الخ فهي أمانة ثقيلة حملها الأنبياء والصالحون وليست "شوية" شعارات ومبادئ.

٥- قالت الفتاتان الصغيرتان لأبيهما الذي يستمع للرأي الآخر: "أنت ليبرالي" فقال: لا أنا محافظ "وأقول من الخطأ أن يصنف الإنسان نفسه تحت مسميات مشوهة أو غامضة أو ناقصة فالصحيح أن يقول الإنسان أنا شيوعي أو رأسمالي أو أنا مسلم أو أنا بوذي فالعمود الفقري لهوية الفرد هي عقائده لا اجتهاداته السياسية الصحيحة أو الخاطئة فعندما يقول الإنسان أنا مسلم تتضح لنا مبادئه الأساسية ونرى الاتفاق والتشابه الكبير بين المسلم والمسلم أما عندما يقول أنا علماني فلا ندري هل هو رأسمالي أو اشتراكي أو شيوعي أو وجودي أو عنصري أو غير ذلك وكذلك عندما يقول الإنسان أنا ليبرالي أو محافظ أو معتدل أو وطني أو قومي أو يساري أو يميني أو معارض.... الخ فهذا إنسان لم يصل إلى الاقتناع بمبادئ شاملة وواضحة ولنتذكر أن أساس الوحدة هي الوحدة العقلية (الفكرية) وليست الوحدة العرقية أو الوطنية أو وحدة المصالح الجزئية ولهذا عندما ترى كثيراً من الأحزاب السياسية بلا قاعدة فكرية فاعلم أنهم مختلفون وضعفاء لأن نقاط التنافر الفكري بينهم أكبر بكثير من نقاط الاتفاق السياسي وهذا الضعف يتضح كلما سارت قافلة الحزب واصطدمت بأرض الواقع والقرارات والمواقف والدول والقوانين.... الخ.

٦- المطلوب هو إعدام مصطلح الليبرالية لأنها فكر ضائع مشوه لا يصلح لأن يكون مبدأ ناهيك عن مبدأ صحيح فأحيانا تكون الليبرالية والعلمانية وجها لعملة واحدة وأحيانا يقول الليبراليون لسنا علمانيين بل نحن مسلمين وهي مصطلح يعيش تحته من لا يمكن تصنيفهم فكريا وسياسيا فلا بد من رفع هذا الغطاء وإصلاح مبادئ المخلصين من الليبراليين حتى نتخلص من الجاهلية الفكرية التي هي المنبع للجاهلية السياسية والجاهلية الاجتماعية والاقتصادية ولنتزم بما التزم به الأنبياء وهم أفضل البشر فهم أهل العدل والحرية والتسامح والمبادئ الصحيحة الشاملة والواضحة التي تبيننا كأفراد وأسر ودول وبالتأكيد إن الليبرالية لن تكون أكثر عدلا ولا حرية وتطوراً لأن الأنبياء كانوا ولا زالوا وسيبقون أفضل البشر فلا يخذعنكم الاتهامات التي توجه للإسلام بأنه رجعي أو سطحي أو قديم.

٧- إذا كانت الليبرالية تعني حرية التجارة والتملك وأهمية القطاع الخاص فهذه قضية فطرية وليست اختراعاً ليبرالياً وهي أمور متفقة عليها البشرية والفكر الشيوعي هو فكر استثنائي وشاذ أما إذا كانت الليبرالية تعني حرية الآراء والنقد وحسن الاستماع فهذه أمور بديهية ضمن ضوابط ومن الخطأ المبالغة في أهمية حرية الرأي مع أهميتها فإعطائها أكبر من حجمها خطأ علمي فالشعوب تعرف سلبيات وعيوب الأنظمة البوليسية الظالمة لأنها ترى الواقع السياسي والإداري والاقتصادي واضحا أمام أعينها والناس تتكلم حتى في أشد الأنظمة الاستبدادية فالأخ يثق في أخيه والصديق يثق في صديقه وهكذا ومن قال إن حرية الرأي ستسقط الفاسدين

والظالمين وما أكثر الأنظمة الظالمة التي تفتح الأبواب لحرية الرأي وفي نفس الوقت تجد من يؤيدها من منافقين وأصحاب مصالح من عسكريين أو أعراق أو أحزاب بل إنهم يصفونها بالعدل والأمانة والوطنية. فالشعوب ليست جاهلة أو مغفلة أو لا تعرف الحقائق وما يجعل الناس يثورون عادة هو الفقر والظلم أو تبدل عقائدهم لا غياب حرية وهذا ما حدث في دول الاتحاد السوفيتي ولنتذكر أن الموظف الأمريكي لا يستطيع أن ينتقد في المجتمع الليبرالي الأمريكي رؤساءه في العمل سواء كان هذا في القطاع الخاص أو العام وتتعامل الحكومات الأمريكية مع الرأي العام بطريقة ذكية فهي تشوه معلوماته فيضيع فتوجهه كما تريد ولا تؤثر كثيراً حرية الشعب السياسية في توجيهه "السياسة الأمريكية" التي تخدم الأغنياء.

٨- لا شك أن حرية الرأي الرشيدة تسلط الأضواء على الفساد والمفسدين وتساهم في تقليل الفساد في المجتمع إذا توفر العلم والالتزام بالمبادئ عند الشعوب ولكن ندرك شرعا وعقلا وواقعا أن المجتمعات البشرية ليست مثالية وأن البشر ليسوا مثاليين ولو فتحنا أبواب الكلام على السلبيات والعيوب بلا ضوابط لكشفنا سلبياتنا وعيوبنا للأعداء ولحططنا معنويات كثير من الناس ولحصلت مشاكل اجتماعية كثيرة ومن المعروف أن ليس كل ما يعرف يقال وأن هناك أسراراً للناس والدول وأن كثيراً من المشاكل يمكن حلها إذا تم مناقشتها من قبل المسؤولين وأبعد عنها سفهاء الناس الذين يثيرون الفتن والعصبية أو يتحركون بناء على المصالح كما حذرنا الإسلام من تتبع عورات الناس أو التجسس عليهم أو شتمهم

فالمطلوب أن ينشغل الناس فيما ينفعهم في دينهم وديناهم لا في إشباع فضولهم وتطفلهم وجدلهم وتجريح بعضهم بعضاً بنشر السلبيات السياسية والاجتماعية والعرقية.... الخ.

٩- إذا فتحنا أبواباً واسعة لحرية الرأي فتأكدوا أن ٩٥ ٪ ممن يتحدثون في السياسة والإصلاح ليسوا متخصصين فيهما وأن ٩٥ ٪ ممن يتحدثون عن التعليم والتربية ليسوا متخصصين وهكذا بل ان كثيرين من المتخصصين عليهم أن يصمتوا لأن المعلومات المتوفرة عندهم قليلة أو لأنهم يفتقدون القدرة على التحليل الصحيح فكم تحدث كثيرون في الفكر الإسلامي وهم جهلاء وكذلك الأمر في الحديث عن التاريخ وحياتنا الاجتماعية وواقعنا السياسي وعلاقتنا بالعالم وغير ذلك وبالتالي ففتح الأبواب الكثيرة لحرية الرأي هو من أهم الأبواب التي يدخل منها الجهل ليشوه عقول الناس وأعمالهم والمفروض أن تكون الأولوية لتطوير العلم ومؤسساته لا حرية الرأي للجهلاء والمفسدين.

١٠- من الطبيعي أن يكون دور الفرد في الليبرالية كبيراً لأن مبادئها محدودة جداً فتجد التطرف في الحب والتطرف في الكراهية والتطرف في الحذر والتطرف في التبذير والتطرف في العنصرية والتطرف في الكسل وهكذا وهذا أو غيره سيحدث لأن الأغلبية الساحقة من المجالات لا توجد لليبراليين مبادئ فيها فاقتنع بما تشاء أو افعل ما تشاء وهذا فيه تشجيع كبير للجهل والمبادئ الباطلة وإعطاؤها الشرعية باسم الحرية والليبرالية.

الليبرالية والاتجاه المعاكس

عرف الأستاذ العزيز محمد مساعد الصالح في مقالة في القبس بتاريخ ١٤ مايو ٢٠٠٦ الليبرالية بأنها الاتجاه المختلف مع الاجتهاد البشري للأحزاب الدينية، والليبرالية في اعتقاد أبي طلال ليست تنظيماً ولا أحزاباً والرد على هذا الرأي هو:-

١- الليبرالية بالمعنى الذي ذكره أبو طلال هي رد فعل ورد الفعل يقبل لفعل محدد كعدوان أو قرار أو قول أو غير ذلك فمثلاً أغلب شعوب العالم لها رد فعل معارض للاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق وأغلب إن لم أقل كل محدودى الدخل يعارضون إلغاء الدعم عن المواد الغذائية الرئيسية وهكذا وعموما فرد الفعل هو شئ مؤقت ولا مجال لتطبيقه في مجال العقائد والفكر وتجميع كل من يعارض الاجتهادات الإسلامية في اتجاه واحد لأن الذي يعارض الإسلام أو الاجتهادات الإسلامية قد يكون شيوعياً أو رأسمالياً أو وجودياً أو عنصرياً أو طبقياً أو فاسقاً أو فاسداً أو مسلماً ضائعاً... الخ. لأن الإسلام عدو الزندقة (الشيوعية) و عدو الإلحاد (الرأسمالية) و عدو التعصب العرقي و عدو الشهوات المحرمة والأهواء المنحرفة..... الخ. وإذا كان من باب العنصرية يقال المثل المصري ”إيه اللي لم الشامي على المغربي“ فإن من باب العقل والعلم لا يمكن أن نجتمع الشيوعي والرأسمالي والذي بدون ضمير.... الخ في تجمع واحد أو يكون لهم فكر محدد لبناء الدولة والفرد فالاتفاق على معارضة الاتجاه

الإسلامي شئ لا يستحق أن نضع له اسماً في عالم الفكر أو السياسة سواء كان هذا الاسم ليبرالياً أو أي أسم آخر ولنتذكر أن العلمانية تتساوى هنا مع الليبرالية لأن العلمانية معناها اللادينية أي الاتجاه المعاكس للدين.

٢- يقصد بالليبرالية الديمقراطية وحرية الرأي وأحياناً التحرر والاختلاف مع مبادئ المجتمع وأحياناً الفرد بلا مبادئ محددة أي هو إنسان حر فكرياً وأحياناً يقصد بالليبرالية العلمانية وهكذا والأستاذ محمد أعطاهها تعريفاً جديداً وهي معارضة الاجتهادات الدينية غير الصحيحة والليبرالية مصطلح بشري يعتمد معناه على ماذا يقصد به من يستخدمه؟ وفي أي بيئة يتكلم؟ وحتى في أي زمن؟ وهذا يتطلب أن يتم تحديد معناه بدقة قبل الدخول في حوار حوله وإذا قلنا إن الليبرالية هي الجوانب الصحيحة في الدول الغربية العلمانية أي الديمقراطية وحرية الرأي فقط لا غير فإننا لسنا بحاجة إلى استخدام مصطلح الليبرالية وعلينا أن نطالب بالديمقراطية وحرية الرأي مباشرة حتى لا يساء فهمنا فالمطلوب أن يتم إعدام مصطلح الليبرالية وكذلك الأمر في استخدام مصطلح العلمانية حيث يقصد بها بعضهم العلمية والتفكير العلمي والعقلانية والواقعية وهذه أمور مطلوبة وأساسية وإسلامية فلنطالب بها مباشرة بدون ربطها بالعلمانية لأن العلمانية في حقيقتها هي اللادينية وفصل الدين عن الدولة وهذا جهل فكري عظيم أو لا وكفر وشرك ثانياً. وما ذكرته يبين أن الليبرالية قضية بحاجة إلى تسليط الأضواء عليها بعمق حتى نفهمها فهما صحيحا ولنتذكر أن الفكر هو القاعدة التي يتم عليها إصلاح الدولة والفرد فإذا كانت هذه القاعدة فاسدة فلن يتم

الإصلاح والبناء حتى لو صلحت النوايا واجتهد المخلصون.

٣- وهناك من يعرف الليبرالية بأنها احترام آراء الآخرين وقبول الاختلاف وأقول نحن نتحدث عن علم أو جهل أي حق وباطل أو صواب وخطأ ولا أدري كيف احترام آراء لعقائد باطلة أو آراء فاسدة لمعنى الحرية أو آراء غير صحيحة لمعنى المساواة خاصة إذا كانت هذه الآراء جذرية وأساسية أي مطلوب مني أن أحترم الكفر والزندقة والشرك وفلسفة الفاسقين واقتناعات الفاسدين وأقول احترام الأفراد مطلوب مهما كانت عقائدهم ومحاورتهم مطلوبة كما فعل الرسول ﷺ مع المشركين فيحاورهم بأدب رفيع وأخلاق عالية قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقال تعالى: ﴿وقولا له قولاً لنا﴾ وقال تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ فلا سخرية ولا جدال ولا شتم.... الخ فالحوار الراقى جزء من مبادئنا وإذا كان بعض المسلمين لا يلتزمون به فهذا انحراف يجب أن يرفض لا أن تدعي الليبرالية أنها اخترعت الحوار الراقى العقلي فهذا أمر نعرفه منذ خمسة عشر قرناً كما أن الاختلاف بين البشر في عقائدهم وأعمالهم هو أمر نتعايش معه بواقعية وعقلانية فلا إكراه في الدين وغير ذلك وليس هذا مجال المزيد وعموما فالليبرالية لها أكثر من معنى فهذا الليبرالي يقول ليبراليتي تعني كذا وكذا والثاني يقول أنا ليبرالي سياسياً ومحافظ اجتماعياً والثالث يقول العكس والرابع يعطيها معنى مختلفاً وهكذا وهذه مأساة فكرية وعقلية تثبت أن الليبرالية تقليد أعمى أو

تفكير أعور ومما زاد الطين بلة كما تقول العرب أن كثيراً من الليبراليين يتكلمون في الليبرالية وهي موضوع فكري وليسوا من أهل العلم بالفكر وليسوا حتى متقنين فكرياً وسلط الضوء على تخصصهم العلمي وسترى ذلك واضحاً وهذا أحد مشاكل العرب الحالية حيث يتكلم في كثير من فروع العلم من ليسوا متخصصين فيها.

٤- من البديهيات أن الاجتهادات الإسلامية متنوعة ومتناقضة سواء كانت تتعلق بحكم تارك الصلاة أو بيع الأجل أو الموقف من حكومة أو حدث سياسي أو جماعة إسلامية متطرفة أو منحرفة أو حتى المعتدلة وما أقوله يعرفه من يقرأ الكتب الإسلامية ومواقف أهل العلم ومواقف الجماعات الإسلامية. فمجال الاجتهاد في الإسلام كبير والاختلاف مع الاجتهادات الإسلامية موجود وبكثرة عند المسلمين فلا يوجد مبرر عقلي لوجود تكتل يكون مختلفاً مع الاجتهادات الإسلامية لأنها اجتهادات مختلفة أصلاً ومتناقضة ويمكن معارضتها وبشدة وأنت من داخل الاتجاه الإسلامي ومن داخل دائرة المسلمين ومن بديهيات الإسلام أن الاختلاف الاجتهادي شئ طبيعي ولكن يجب أن ينطلق من معايير إسلامية تستند للقرآن الكريم والسنة النبوية وإذا كان الليبراليون صادقين في الانتماء إلى الإسلام فعليهم أن يكونوا أصحاب علي رضي الله عنه إذا كانوا يعتقدون أن الاتجاه الإسلامي فيه خوارج ومتطرفون ورجعيون وجامدون لا أن يحاربوا كل الاتجاه الإسلامي بمن فيهم أصحاب علي، إنهم في هذه الحالة أقرب إلي خندق كسرى وقيصر منهم إلى خندق المسلمين.

٥- لو لم توجد اجتهادات إسلامية فلن توجد الليبرالية لأنها اتجاه معاكس فهي إذن لا شيء فكرياً فالفكر سواء كان صحيحاً أو غير صحيح هو مبادئ دينية أو علمانية تحدد عقائدك والأسس لا قناعاتك السياسية والاجتماعية والاقتصادية فالإسلام فكر وكذلك الشيوعية والعلمانية الرأسمالية وهكذا فالليبرالية ليست فكراً وليست حزباً سياسياً حقيقياً وليست جمعية مهنية فهي بمواصفاتها العكسية لا تصلح أن تكون تنظيمياً أو حزباً وكما قلت في مقال سابق لا تصلح حتى لبناء فرد ناهيك عن بناء حزب أو دولة وقوتها هي فقط في تشويه الحقائق الفكرية ونشر الضياع السياسي وتشويه المخلصين الواعين ولهذا ننتقدها حتى يعرف الناس خطرها وضررها، فالعلمانية والليبرالية كانتا ولا تزالان تشعلان الفتن الفكرية والسياسية وتمنعان مجتمعاتنا من الانطلاق لتحقيق نجاحات أكبر في العلم والعمل فالأمة ليست لديها أزمة فكرية إطلاقاً قال رسول الله ﷺ "تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك" فالليبرالية تنتظر أن يأخذ الاتجاه الإسلامي موقفاً حتى تكون ضده فإن كان مثلاً مالياً لحكومة قالت الليبرالية عن علماء المسلمين إنهم وعاظ السلاطين وإسلام أمريكي وإذا ثار ضد حكومة اتخذت الليبرالية الاتجاه المعاكس وسمت الاتجاه الإسلامي بالإرهابي والمتطرف ولو تعمقنا في أقوالهم وأفعالهم لاقتنعنا أن حقيقة خلافهم ليس مع اجتهادات إسلامية بل مع الإسلام نفسه لأن الاتجاه الإسلامي مهما أخذ من مواقف لن يرضيهم لأن الخلاف في الأسس الفكرية لا الاجتهادات الفكرية أو السياسية.

٦- إذا كان الليبراليون مختلفين مع اجتهادات إسلامية فنقول لهم ما هي الاجتهادات التي تختلفون معها؟ وما الذي يثبت أن اجتهاداتكم صحيحة؟ ونحن لا نجد لكم مراجع من كتب أو مفكرين يشرحون مبادئكم. وإذا كان الاختلاف بين الليبراليين جذريا حتى في معنى الليبرالية فما بالك بمبادئها ومراجعتها ومفكرها فالليبرالية إذن شئ غامض وضبابي لا يمكن التعامل والتعايش معها ناهيك عن الاقتناع والالتزام بها فإذا أحسنت الظن ببعض أهلها فهم مخلصون ومجتهدون يريدون الديمقراطية وحرية الرأي وإذا رأينا أقوال وأعمال بعض أهلها وجدنا أنها والعلمانية وجهان لبضاعة واحدة وأقول وأكرر إن مشكلة الليبرالية العربية فكرية في أساسها وليست سياسية فهي ملوثة فكريا وعلى المخلصين والصادقين من أهلها تحديد هويتهم حتى لا يختلطوا بمن يخالفهم فكريا ويحمل اسم الليبرالية أيضا. لنفترض جدلا أن الليبراليين انتصروا على الاتجاه الإسلامي فإن هذا سيجعلهم يواجهون عالم السياسة والواقع فعليهم تحديد مبادئهم ومواقفهم ولأنهم رد فعل فسيختلفون ويتصارعون فيما بينهم بوسائل سلمية أو عنيفة ولهذا تنتشر في الأفكار العلمانية مبدأ ”الثورة تآكل أبناءها“ فإذا كان هذا يحدث في المبادئ المحددة نسبيا كالشيوعية والثورة الفرنسية فما بالك بالليبرالية وما أقوله حدث مع العلمانية لأنها قائمة في أساسها كرد فعل لانحراف رجال الدين المسيحيين ولهذا أخذت تتصدع وأنتجت الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والنازية.... الخ لأن معركتها مع رجال الدين انتهت بانتصارها.

٧- لا أعترض من ناحية إسلامية على أن يركز الليبراليون على الديمقراطية حتى لو طالبوا بإجراء انتخابات كل سنة لاختيار الحاكم والحكومة والمجالس النيابية ولا أعترض على المطالبة بزيادة حرية الرأي حتى لو زادت مساحتها عما هو متاح في أمريكا فمبادئ الإسلام تشجع كثيرا مما تجتهد فيه الليبرالية في هذه المجالات وليس هذا مجال التفصيل وإذا كانت هناك اجتهادات إسلامية ضد الديمقراطية أو الأحزاب أو أنواع من حرية الرأي فهناك اجتهادات إسلامية تؤيدها بل إن الانطلاق من قاعدة إسلامية فكرية في الدفاع عن زيادة مساحة الشورى وحرية الرأي وحقوق الإنسان يعطي هذه الاجتهادات قوة فكرية وشعبية قوية وإذا كان المقصود مخالفة الاجتهادات الدينية (الإسلامية) هو مخالفة اجتهادات تخالف آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو حقائق مادية أو حقائق "عقلية" أو حقائق واقعية فإن هذا الأمر لا يتطلب إيجاد تكتل منفصل قائم على "رفض الاجتهادات الإسلامية الخاطئة" لعلماء مسلمين أو جماعات مسلمة أو حكومات مسلمة فإبعاد المسلمين عن جمود فكري أو ضعف عقلي أو فهم خاطئ للواقع أو تطرف أو تقليل مساحة الشورى والديمقراطية وحرية الرأي أو غير ذلك هو أمر مطلوب من علماء المسلمين ومنتقفيهم وهذه عملية سار فيها علماء من أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ حسن البنا والشيخ الألباني والدكتور أحمد كمال أبو المجد والأستاذ فهمي هويدي وغيرهم كثير جدا وتم قطع شوط كبير في ذلك وهؤلاء اختلفوا مع الانحرافات الفكرية سواء كانت عقائدية أو تعليمية أو سياسية أو غير ذلك والمفروض أن

نركز الجهود اليوم على وسائل ترشيد اجتهاداتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال إنشاء المعاهد العلمية المتخصصة وتوفير الأموال لها وتشجيع الاجتهاد الجماعي وتشجيع الدراسات الميدانية وتطوير علم وثقافة وتجربة أهل العلم والاختصاص وغيرهم لا أن تتركز جهود أغلب الليبراليين على التشكيك بالإسلام أو أهله والصراع الفكري والسياسي معهم أو تشجيع الفتن الفكرية والسياسية أو محاكمة التاريخ أو فتح ملفات قديمة أو التركيز على قضايا هامشية أو الجدل الفلسفي والسياسي أو غير ذلك وإذا كان المسلم الليبرالي حسن النية فهناك من يستغل الأخطاء الاجتهادية بنوايا سيئة حتى لو كان يزعم أنه ينتمي للمسلمين.

الليبرالية الحديثة

قال الأخ العزيز ناصر العبدلي في جريدة القبس بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦ ”يرى كثير من المراقبين أن جوهر الليبرالية يعني التركيز على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع السيطرة والاستبداد، فالليبرالي يصبو على نحو خاص إلى التحرر من التسلط بنوعيه: تسلط الدولة (الاستبداد السياسي) وتسلط الجماعة (الاستبداد الاجتماعي)“ وقال: ”ويرى المراقبون أن الجذور التاريخية لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته، معارضة في كثير من الأحيان التقاليد والأعراف والسلطة رافضة جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة“ وقال: ”إن نشأة الليبرالية الجديدة، لتمييزها عن الليبرالية القديمة إنها بدأت في منتصف القرن الماضي (العشرين) وتمثل في حقيقتها ردة فعل على إخفاق الليبرالية الكلاسيكية في حماية العقل الغربي من آثار التطرف الديني خاصة مع تحوله في مرحلة من مراحل التاريخ الأوربي إلى نزعات فاشية وقومية كما حدث في ألمانيا وإيطاليا“ وقال: ”ويرى كثير من المتابعين أن فكرة الليبرالية ليست اجتهادا للشخص واحد، بل أسهم أكثر من مفكر غربي في منحها شكلها الأساسي“ وتعليقي على ما كتب الأخ ناصر هو في النقاط التالية:-

١- لا شك أن الفرد مهم ومن الضرورة تحريره من أنواع السيطرة والاستبداد والقيود سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو عقائدية ولكن ما معنى الاستبداد؟ وما معنى السيطرة؟ وما هي القيود الخطأ؟ فهل طاعة الحكومة استبداد؟ وهل الالتزام بالقوانين سيطرة وقيود؟ وباختصار إن الحرية

والعدل والالتزام بالنظام وغير ذلك كلمات عامة لها معاني مختلفة في أجزاء كثيرة منها فهناك حرية رأسمالية وهناك حرية إسلامية وهناك حرية شيوعية وكذلك مع العدل وبالتالي فإن التعامل مع هذه المصطلحات كأن معانيها واضحة ومتفق عليها أمر غير صحيح. فيمكن أن نسمي فرض الضرائب الحكومية في أمريكا تسلطاً مالياً على الفرد ويمكن أن نسمي تجريم الزواج بأكثر من واحدة في الغرب تسلطاً اجتماعياً فلا يوجد فكر بلا تسلط إن صح التعبير ولا نستطيع أن نقول نحن مع حرية الفرد المطلقة ليفعل ما يشاء فالأب الصالح مقيد بقيود وواجبات كثيرة نحو أبنائه وزوجته والموظف مقيد بلوائح والمواطن مقيد بقوانين وهكذا.

٢- في كل مجتمع هناك أفراد وهناك جماعة وهناك أقلية وأغلبية فيمكن أن نصنع مبدأ يقول إنه مع مصلحة الجماعة لأنها أهم من مصلحة الفرد وهذا خطأ فهناك شرعا حقوق لكل طرف يجب الالتزام بها وهناك مساحة ضبابية بينهما يمكن أن تختلف الاجتهادات فيها والقضية ليست فقط فرداً وجماعة بل هناك شعب وحكومة وهناك أغنياء وفقراء وهناك أقوياء بعرقهم أو حزبهم أو دينهم أو منصبهم وهناك أقلية أو ضعفاء وهناك عمال وأصحاب عمل فمن الخطأ أن نصنع مبادئ وفلسفات تميل وتساند طرفاً على آخر لأن هذه الأجزاء متكاملة ويمكن أن تتعايش إذا التزمنا بالإسلام وأعطينا كل ذي حق حقه أما المبادئ غير الإسلامية فلن تنجح في إيجاد التوازن والعدل لأنها قائمة على الجهل.

٣- القضية الأساسية هي تحرير العقل من الجمود والخرافات والضياع أي الجهل من خلال دراسة العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية وبحرية

وبأسلوب علمي فالقضية أكبر من تسلط سياسي أو اجتماعي فالمطلوب تشجيع العقل على التفكير بالكون ومن خلقه؟ وما هو المطلوب منا؟ وهذه القضية (التمرد العقلي) ليست صناعة علمانية أو ليبرالية بل هذه دعوة الرسل منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وتأتي السياسة والاقتصاد كفروع لعقائد صحيحة أو غير صحيحة وهذا يعني ان التعامل مع القضية كأنها صراع بين الفرد والجماعة أو الحرية والاستبداد هو تعامل خطأ لأنه لم يتعمق في الكون والحياة بمختلف جوانبهما وعندما يقتنع عقلنا بأن (الإسلام) هو الحقائق الفكرية وإن العلمانية والليبرالية وغيرهما أو هام فكرية فسيكون الإسلام هو الميزان الذي نقيس به المبادئ الأخرى والتقاليد فليس كل ما تقوله الرأسمالية خطأ وليس كل التقاليد والأعراف بالية ومرفوضة وليس كل الطاعة والقيود خطأ وما يعطيه الإسلام للفرد أو للجماعة من حقوق وما يفرضه عليهما من واجبات هو حق وصواب علينا الالتزام به كما نلتزم بالحقائق المادية.

٤- الليبرالية سواء كانت قديمة أو حديثة هي مبادئ قليلة بل يختلف أهلها حتى في تعريفها وبافتراض أن كل مبادئها صحيحة فهي فكر جزئي لا يضمن ولا يغني من جوع ولا تصلح لبناء فرد ناهيك عن مجتمع كما أن الحقائق الفكرية وكذلك المادية ليست هي شئ "نصنعه" أو نظوره أو نخترعه بل هي أشياء موجودة علينا أن نكتشفها أي علينا أن نسلق طريق العقل السليم وسنصل إليها لأنها موجودة فعلى سبيل المثال نحن لم نصنع خواص الماء بل اكتشفناها واستخدمناها فاستفدنا وكذلك الأمر مع الحقائق الفكرية فالإيمان حقائق علينا أن نكتشفها والحرية الصحيحة موجودة علينا أن

نعرف كيف نصل إليها فالحقائق الفكرية ثابتة ولا تتطور، فهي مثل الحقائق المادية ولكن التطور يكون في الإجهادات والأدوات الفكرية، فالقول بأن "الليبرالية" صنعها أكثر من مفكر غربي أمر صحيح ولهذا فهي خطأ لأن المبادئ لا يتم صنعها والعقول البشرية المجردة صنعت الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والوجودية... الخ وحاولوا أن يطورا فيها وتستفيد من التجارب الواقعية ولكن هذا الأسلوب لا يوصل للحقائق الفكرية أبداً بدليل أن العقل العلماني أنتج النازية والشيوعية بعد ثلاثة قرون من التفكير والقراءة والحوار فالبشرية تخرج من حفرة عميقة لتقع في أخرى ثم تأتي الرأسمالية الحديثة لتلغي القديمة وكذلك الليبرالية وهذا ليس تطوراً فكرياً بل تخبطاً لأن هذا الأسلوب لا يوصل إلى الحقائق حتى لو استمرينا آلاف السنين وعلى البشرية ألا تجري وراء سراب جديد ولا أعتقد أن من الحكمة أن يكون مبدأنا في الحياة هو التعلم من الأخطاء سواء على مستوى الدول أو الأفراد فللأخطاء ثمن كبير في كثير من الأحيان ومن لا يعرف الحق سيبقى وللأبد يعاني من أخطائه العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية.

٥- الفكر الصحيح موجود وهو الذي جاء به الأنبياء والحقائق الفكرية واضحة فالزنا ليس حرية شخصية وعقوبة القاتل المتعمد القتل وليس السجن وأمرهم شورى بينهم ولا فضل لعرق على آخر... الخ ولكن تعرض هذا الفكر إلى غزو علماني غربي خلال القرون الثلاثة الماضية وإلى جمود فكري من بعض المسلمين أو متاجرة من المنافقين وتعرض إلى تطرف من بعض الجماعات الإسلامية وإلى إهمال وجهل من كثير من المسلمين وهذا وغيره جعل بعضهم يظن أن البشرية ستضل أو تتعصب أو

تعادي العقل السليم إذا تمسكت بالإسلام وهذا كله جهل وضياع فالفكر الصحيح المتطور وصلنا إليه من قبل خمسة عشر قرنا ونجحنا في تطبيقه في فترات طويلة، فهو ليس مبادئ خيالية لا تصلح لواقع البشر. فالمسلم الملتزم بوعي هو فرد راق في عقائده وأخلاقه وأعماله وهذه نماذج واقعية نشاهدها بأعيننا وبعقولنا وكلما زاد إيمانه وتمسكه كلما زاد رقيه والأنبياء هم أفضل البشر لأنهم الأكثر تمسكا بالدين فكيف تكون سعادة الدولة بفصل الدين عنها والبحث عن مبادئ علمانية ليست لديها أبدا أدلة علمية على صوابها فالعلمانية أشبه ما تكون بمجنون أو جاهل اقنع الناس أنه يعتمد في حياته على العقل والعلم بل أقنعهم أيضا أن الإسلام ليس دين العقل والعلم.

٦- قال الأخ العزيز ناصر ”ولكن في الفضاء المحلي وهذا سبب كتابة المقال لا تعني هذه المفردة ”الليبرالية“ شيئا ألبته ولا تعدو أن تكون تقليعة من البعض في زمن شحت فيه الأيدلوجيا وتقطعت السبل بأصحابها ولم يجدوا أمامهم سواها ” وأقول عرفنا كمسلمين قبل خمسة عشر قرنا أن الأيدلوجيات الدينية السماوية التي قبل الإسلام تم تشويهها وأن الأيدلوجيات الفلسفية العلمانية خاطئة أيضا، أما من يدعي الليبرالية في مجتمعنا فهو إن كان صادقا فهو متمسك بسراب من المصطلحات وقليل من المبادئ أو فرد يريد أن يتبع شهواته وهواه أو مصالحه أو مفاهيمه العنصرية أو عقائده الشركية أو أغلب هذه فلم يجد مظلة يستظل بها إلا الليبرالية لأنها مبادئ قليلة يسهل إدعاء الانتماء لها وباختصار الليبرالية فكر جزئي وضبابي ومخترق.

حالة ليبرالية صعبة

لا يعرف الليبراليون حتى بديهيات الحوار والنقاش حول المبادئ ولا يعرفون الأسلوب العلمي في الوصول إلى الحقائق الفكرية (وليس المادية) فيخلطون الحوار حول المبادئ والعقائد بالحوار حول الواقع أو التاريخ أو الأفراد ولا يترددون في استخدام الشائعات والاتهامات الباطلة بل إن كثيراً منهم يردد شبهات قالها أعداء الأمة من مستشرقين وغيرهم ممن كانت أهدافهم استعمارية أو كتبوا ما كتبوا عن جهل فظيع بالقرآن أو الأحاديث النبوية أو التاريخ الإسلامي أو حتى الواقع الإسلامي واعتمدوا في كتاباتهم على مراجع تاريخية أو مصادر واقعية من جهات غير محايدة بل معروف عداؤها للإسلام والمسلمين ومعروف أن أهداف السياسة تختلف عن أهداف الباحثين عن العلم والحقائق فالسياسة تشوه الحقائق في سبيل تحقيق أهدافها غير المشروعة ولا تستغرب إذا وجدت ليبرالياً مقتنعاً بأن فصل الدين عن الدولة يحقق مصالح الناس وأدلته في هذا الموضوع واهية ولا تستند إلى أدلة علمية أو وجدت ليبرالياً مقتنعاً بأن القرآن كتاب لا علاقة له بالسياسة أو وجدت ليبرالياً مقتنعاً بأن الفتن والمشاكل هي السائدة منذ وفاة الرسول ﷺ أو وجدت ليبرالياً (وهم كثيرون) يسخر من واقعنا ولا يرون إيجابيات كبيرة تم تحقيقها خلال الخمسين سنة الماضية ولا تعجب إذا رأيت ليبرالياً ينتقل في حوارهِ من موضوع إلى آخر إلى ثم ثالث فرابع دون أن يستطيع أن يرتب مواضع الحوار بصورة صحيحة وأنا لا أبالغ في ذلك فاسألوا الليبراليين عن الترتيب الصحيح للقضايا المختلف حولها ستجدهم يبدؤون بمعالجة قضايا

واقعية أو يريدون أن يحلوا مشاكل تاريخية أو يريدون إجابات محددة عن قضايا اجتهادية أو يجادلون في قضايا واضحة كالشمس عند المسلمين بل عند من لديه إمام بسيط بالقرآن والسنة وهذا يثبت أنه عندما تتكلم الليبرالية يتكلم الجهل ونجد عند الليبراليين ”غروراً عجبياً“ فهم لا يعترفون بعلماء المسلمين المخلصين الكبار المتخصصين بالقرآن والسنة فهذا عندهم متخلف وهذا جاهل بالواقع وهذا لا يفهم شيئاً وهذا من وعاظ السلاطين وهذا أخطأ مرة فتم رمي ملفه وهكذا وهذا جهل فظيع لأن العلماء غير معصومين وهذا من البديهيات التي يعرفها المسلمون كما أن وجود اجتهادات غير صحيحة لا يقلل إطلاقاً من مكانة علماء كبار لديهم علم كبير بالقرآن والسنة وشهد العلماء والناس بعلمهم ومكانتهم ولا شك أن علمهم مهما انخفض فهو أكبر بعشرات المرات من علم ليبرالي يجهل ليس تفسيرات آيات القرآن بل يجهل حتى أساسيات اللغة العربية ولا يعرف حتى أسماء علماء الإسلام ناهيك عما قالوا واجتهدوا فالليبرالي غير المتخصص في اللغة العربية ليس من حقه أن يشك أو يرفض إعجاز القرآن اللغوي لأنه يتكلم عن جهل والمثل الشعبي يقول ”من لا يعرف الصقر يشويه“ أي من لا يعرف الصقر من الطيور المشابهة له ويعرف قيمته يعتبره طيراً عادياً فيشويه فيأكله ومن بديهيات العلم أن المتخصصين في مجال العلم هم الأقدر على تقييم الإبداع والابتكار والإعجاز فالطبيب يفهم الابتكارات الطبية ويعرف قيمتها وكذلك الأمر مع المهندس والكيميائي..... الخ وعلم السحرة أن ما فعله موسى عليه السلام معجزة وليس سحراً لأنهم يعرفون حدود السحر وأقول متى يفيق الليبراليون الضائعون ويدركون أنهم صدقوا اتهامات علمانية غربية لديننا وتاريخنا وواقعنا وقوانا الشعبية المخلصة

متى يدركوا أنهم أحد ضحايا الإعلام الأمريكي والأوربي وأنهم عاشوا في
غربة فكرية وجسدية كبيرة بعيدين عن العلماء وبعيدين عن الملتزمين بالإسلام
وبعيدين عن الصراط المستقيم وبعيدين عن العقل الواعي الذكي وأنهم عاشوا
في أكاذيب كثيرة أوهمتهم أن الغرب هو بلاد التسامح والوسطية والحرية
والعدل وما أقوله لا يتعارض مع تحقيق نجاحات كبيرة للغرب في بعض هذه
المجالات ومتى يدركوا أن مرارة واقعنا حدثت لابتعادنا عن الإسلام ومتى
يدركوا أن ما نحصد في واقعنا من خير وشر هو ما زرعناه بأيدينا وما
نستحقه وأن نصيبنا من فوائد الإسلام مرتبطة بحجم ما نعلم ونعمل منه فهناك
كثيرون يعرفون الحق (الإسلام) ولكنهم لا يلتزمون به بل إن بعض هؤلاء
منافقون وكفار حتى لو كانت أسماؤهم إسلامية ويقولون إننا نؤمن بالله
ورسوله وأذكر هنا أن ما نراه في واقع كل شعب من خير وشر هو ما يستحقه
ويعكس ما في عقل هذا الشعب من وعي وعلم فكري ومادي وما في نواياه
من إخلاص وفساد وما في إنتاجيته وأعماله من حسن وسيئ. وفي واقعنا
الإسلامي نرى كثيرين يعرفون الحق ولكنهم لا يلتزمون به سواء كان هذا
الحق الالتزام بالصلاة أو إتقان العمل أو الصدق في القول وباختصار فإن
الواقع صنعته الشعوب بأفرادها وأسرها وقبائلها وأحزابها وأغنيائها
وفقرائها وحكوماتها..... الخ وإذا كان الليبراليون متناقضين في عقائدهم
ومبادئهم فمن الطبيعي جدا أن يتناقضوا ويختلفوا في فهمهم وحلولهم لقضايا
الواقع السياسية والاجتماعية وغير ذلك فالميزان العقلي عندهم "موازن
متناقضة" فمن الطبيعي أن تكون مواقفهم "متصادمة" والتناقض والاختلاف
لا يصنع التقدم والقوة وإذا كان الليبراليون ضاعوا في معرفة الحق من

الباطل في قضايا واضحة كوجود الله سبحانه وتعالى وأدلة صدق الأنبياء وخطأ فصل الدين عن الدولة ألا يضيعوا في قضايا تحتمل أكثر من رأي كمعاني الحرية والمصلحة والاعتدال وتقييم الحكومات والقوة السياسية وغير ذلك وتجدر من صفات الليبراليين أنهم يشغلون "عقولهم" فيما لا ينبغي أن ينشغل العقل به فهم كفيلسوف يفكر بقضايا كثيرة حديثة وقديمة وسياسية وعقائدية وفلسفية فهذا الليبرالي يريد أن يكتشف نفسه ولا أدري ماذا سيكتشف فيها؟ والليبرالي الآخر يحلم ويسعى لمجتمع مثالي لم ولن يوجد أما الليبرالي الثالث فهو يريد أن يعرف الحق في كل مشاكل العلم من فكرية وسياسية أما الرابع فهدفه أن يكتب التاريخ اسمه والخامس فقد التوازن في موقفه من الحكومات فهو في عداها جميعا وليس راضيا حتى عن حكومة واحدة من كل الحكومات العربية فهو يعاديها جميعا والسادس وهو جزء لا يتجزأ من حكومة ظالمة ويدافع عن ظلمها باسم الأمن أو الواقعية أما السابع فيرى بأن كل مشاكلنا ستحل إذا طبقنا القانون مع أن الأغلبية الساحقة من مشاكلنا لا علاقة لها بالقانون ويرى الثامن أن شعبه هو أفضل الشعوب العربية وأنه هنا إلى أن التعصب العرقي مرض شائع في الوطن العربي وهو موجود عند كثيرين من الليبراليين أما التاسع فيرى أن الديمقراطية تعالج كل الأمراض والعاشر يعيش في عزلة عن الناس وفي جزر معزولة فكريا حتى لو كتب المقالات وألف الكتب والحادي عشر يطبق المبادئ حرفيا والثاني عشر واقعي أكثر من اللازم ولا يؤمن بأهمية المبادئ وهكذا . وأقول لا حدود لأنواع الليبراليين وعقائدهم واقتناعاتهم حول القضايا الرئيسية وإذا كان هذه حالة الليبراليين المخلصين فهناك من يدعون الليبرالية من حكومات

فاسدة أو مثقفين هدفهم الشهرة أو سياسيين هدفهم المناصب أو فساق هدفهم
الفسق أو أغنياء هدفهم المال وقد يقول قائل المتاجرة بالمبادئ تجدها
تستخدم أحيانا الشعارات والمبادئ الإسلامية وأقول نعم ولكن من السهل أن
ينكشف كثير جدا من المتاجرين بالإسلام لأن مبادئ الإسلام كثيرة ويجب أن
يلتزم بها المسلم في أعماله وأقواله وأسرته ومواقفه وهذا لا يعني أن
المسلمين مثاليون أو على درجة واحدة من الإيمان والالتزام ولكن هناك حد
أدنى لا يقبل أقل منه في حين أن الليبراليين بلا التزامات شخصية وبلا ملامح
لها في كثير من العقائد والأعمال فالفاسق قد يكون ليبراليا والعنصري قد
يكون ليبراليا والمنافق قد يكون ليبراليا والكذاب قد يكون ليبراليا وقد تكون
الأسرة الليبرالية متكبرة حتى اللغة العربية وموالية كل الولاء للغرب وهذا
يعني أنه من المستحيل في أحيان كثيرة معرفة الصادق من الكاذب ممن
ينتسبون لليبرالية . وأقول لليبراليين أنتم بحاجة لأن تخرجوا من مستنقع
التظليل الفكري والإعلامي وبحاجة أن تتمردوا على آراء الفلاسفة وجدلهم
وأنتم بحاجة لأن تقتربوا كثيرا من علماء الإسلام وقبل ذلك من آيات القرآن
الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فالعلم الفكري أمانة عظيمة وكان علماءنا
حذرين في الحديث في الإسلام (العلم الفكري) وفي العقائد وقد سئل الإمام
مالك بن أنس رحمه الله عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين لا
أعلم في حين أن العلمانيين لو سألتهم مائة سؤال لأعطوك إجابات عنها كلها
ولم يقولوا لا أعلم سواء كانت هذه الأسئلة فكرية أو واقعية وأقول إذا كان
المطلوب إجابات خطأ فالأمر سهل جدا فمن السهل القول أظن أن الجواب كذا
أو بناء على تجربتي الشخصية في الزواج أرى أن الحق كذا أو بناء على كتاب

قرأته فأرى أن الجواب كذا وهكذا وهذا هو الجهل والضياع بعينه إذا كان الحديث عن القضايا الفكرية والأساسية وهذا هو الجهل في العصر الحديث فهو جهل نقرأه كل يوم في كتابات مثقفين وأصحاب شهادات جامعية وعليا فهذا يتكلم عن العلاقة بين الدين والسياسة وهو لا يفهم لا في الدين ولا السياسة وهذا يتكلم عن الإصلاح وهو لا يعرف هل الإصلاح يبدأ من الشعب أو الحكومة وهذا يدافع عن حرب ظالمة والرابع لا يعرف الفرق بين الدولة الدينية والدولة المدنية ومع هذا يعطي محاضرة فيهما والخامس يفتي في التاريخ معتمداً على معلومات ومصادر ملوثة والسادس يتكلم عن التخطيط والخطة وهو يجهل بديهيات هذا العلم وما أكثر هؤلاء وهكذا . وأقول وأحذر إن من أخطر الأمور أن يتكلم المسلم في الإسلام بناء على رأيه وظنه وقراءاته والمطلوب أن يتم الرجوع إلى العلماء وبصورة جماعية وتعلم منهم ويمكن أن نختلف معهم في القضايا الاجتهادية ولكن بعد أن نسمع ونفهم ما يقولونه ولكن في القضايا الأساسية فلا مجال للاجتهد والرأي من العلماء ناهيك عن غيرهم والإيمان هو اتباع العقل الصحيح الذي أثبت وجود الله سبحانه وتعالى وصدق الأنبياء وهو اتباع عقائد وشريعة الإسلام والكفر هو جحود الله سبحانه وتعالى أو رفض اتباع أنبيائه واتباع العلمانية بمدارسها المختلفة من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية ويخطئ جدا الليبراليين وغيرهم ممن يظنون أن بالإمكان الحياة ببعض المبادئ لأن الحياة تتطلب كثيراً من المبادئ الصحيحة فعلى سبيل المثال ما أكثر الفساد والشر والعداوات والتنافر والصراع والكراهية التي تحدث نتيجة ضياع العلمانيين في ”حريتهم“ في توجيه الاتهامات للناس بل حتى لبعضهم بعضاً فما أكثر من يصدقون

الشائعات التي تقال عن خصومهم فهذا متطرف وهذا إرهابي وهذا من وعاظ السلاطين وهذا أخذ رشوة وهذا تحرك بناء على مصالحه الخاصة أو مصلحة عرقه وهكذا. فعندهم استعداد كبير لتصديق الظنون فليس هناك منهج علمي ليبرالي صحيح يحمي الناس من ظنون الليبراليون وألسنتهم وأقلامهم فهم لا يتثبتون من المعلومات ويتعجلون في نشر الشائعات ويصدقون الكلام حتى لو جاء من فاسق أو عدو والنتيجة الطبيعية لمثل هذا السلوك هو فقدان الثقة في كثير من المخلصين والنظرة التشاؤمية للواقع.

الليبرالية والمصلحة

يجهل الكثيرون أهمية العقائد والمبادئ ويظنون أنها قضايا تقتصر على علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى وبالعبادة وبيعض القضايا الشخصية والاجتماعية وهذا الاقتناع كارثة علمية لأن العقائد والمبادئ هي التي تحدد لنا معاني التوحيد والعدل والحرية والمصلحة والأخلاق.... الخ وتحدد لنا من المفسدون ومن المصلحون؟ ومن هم الأصدقاء؟ ومن هم الأعداء؟ وهي التي توضح لنا معاني الإصلاح والفساد وبعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء ليعلمونا المعاني الصحيحة للتوحيد والعدل.... الخ والعقائد غير الصحيحة كالعلمانية والليبرالية تعطينا إجابات خطأ وهذا لا ينفي وجود بعض الصواب في هذا المبدأ المنحرف أو تلك العقيدة الضالة ومشكلة السياسيين العلمانيين وكثير من الليبراليين أنهم يتعاملون مع الواقع دون أن يحددوا بطريقة علمية ما معنى العدل؟ وما معنى المصلحة؟ وكيف يحققون مصلحة الشعب؟ كان هتلر يرى أن مصلحة ألمانيا تتحقق إذا تعصب الألمان لعرقهم واقتنعوا أنهم متميزون عرقيا عن بقية البشر ويعتقد كثير من المسؤولين الأمريكيين أن مصلحة أمريكا تتحقق إذا خضعت لها الدول ونالت أكبر قدر ممكن من المصالح الاقتصادية وتظن أن من مصلحتها أن تحارب الإسلام والشيعية والاشتراكية وأن تصدر مبادئها للعالم بل تظن أن من مصلحة أمريكا أن يكذب الإعلام الأمريكي وأجهزة الدولة على الشعوب بمن فيهم الشعب الأمريكي فأخبار القتل والتعذيب والسجون السرية والمؤامرات يجب إخفاؤها لأن هذا يحقق "مصلحة" أمريكا. وما تم فضحه من جرائم يتم تقبلها من الحكومة

والشعب الأمريكيين لأن تحقيق مصلحة أمريكا يأتي أولاً ولو حاولت الصين أن تفعل ما تفعله أمريكا أي لو حاولت العمل على تحقيق مصالحها بالتعريف الأمريكي للمصلحة أعلنت أمريكا عليها الحرب وهذا يعني أن العلمانية تواجه مشكلة كبيرة جداً وهي جهلها المعنى الصحيح للمصلحة وبالتأكيد إن التعريف الصحيح للمصلحة ليس جزءاً من أجزاءه "السيطرة على العالم" وأخذ أكبر قدر ممكن من الثروات والخيرات من الضعفاء ولم ولن تستطيع العلمانية الوصول إلى تعريف صحيح ليس فقط للمصلحة بل حتى للعدل أو الحرية. وما تفعله أمريكا هو التلاعب بالإعلام والحقائق والمبادئ حتى توهم شعبها وغير شعبها أن ما تفعله صحيح وقانوني ولا بد منه حتى لو كان شراً فبعضهم يقول إنه لشيء طبيعي أن تسعى كل دولة لمصلحتها ونقول نعم نحن لسنا ضد المصالح الصحيحة ولكن حددوا أولاً ما هي المصالح الصحيحة؟ فلو أن العراق احتل أمريكا لقاتل أمريكا لمن يرفع السلاح من شعبها أنهم أبطال ومقاومة أما من يحمل السلاح من العراقيين على الاحتلال الأمريكي فهو إرهابي أو من بقايا النظام البائد ويرفض إعلامها أن يسميه مقاومة شرعية ومع أن احتلال أمريكا للعراق مرفوض حسب القوانين الدولية إلا أنه مقبول وشرعي حسب المفاهيم العلمانية للمصلحة الأمريكية وقضية المصلحة ليست ضائعة عند الدول والشعوب بل حتى عند القبائل والأفراد فكم من قبيلة تعصبت لأبنائها ظناً منها أن هذا يحقق مصالحها وكم من حروب حصلت لذلك وكم من أفراد يظنون أن مصالحهم تتحقق إذا زاد مالهم أو ارتفعت مناصبهم حتى لو بوسائل غير شريفة من كذب وغش ونفاق وظلم وربما وما أقوله هو واقع مشاهد في السياسة والإدارة والحياة الاجتماعية

وخطورة العلمانية والليبرالية أنهما يجعلان الفرد يفعل ما يقتنع به عقليا (هذا بالنسبة للمخلصين) لا ما تفرضه المبادئ الصحيحة (العلم الفكري) فإذا رأى الفرد أن مصلحته تتحقق بالصمت عن الانحراف الإداري فليفعل وإذا رأى مصلحته تتحقق بالواسطة فليفعل وإذا رأى مصلحته تتحقق بشراء الملابس الغالية والتبذير في المسكن فليفعل وإذا رأى أن مصلحته تتحقق بالبخل بماله وحرمان الفقراء والمحتاجين من الناس بل ومن الأقارب فليفعل وإذا رأى أن مصلحته تتحقق بقطيعة الرحم وبضعف بره لوالديه كما يحدث عند كثير من الغربيين فليفعل وإذا رأى مصلحته تتحقق بإشباع شهوته الجنسية بالزنا فليفعل فأوقات كثيرين موزعة بين العمل والجنس وهذا يؤدي إلى فقدان كثير من القضايا العامة لمن يهتم بها وما أقول لا ينفي وجود من يهتم ويضحى ولكن الفلسفة العلمانية تجعل الموقف من هذا القضايا آراء فبإمكانك أن تقتنع بها أو ترفضها فإذا اقتنعت أن ليس من واجبك مساعدة الفقراء وأن هذا واجب الحكومة أو الأغنياء فأنت حر ولكن في الإسلام (العلم الفكري) مصلحتك تتحقق إذا ساعدت الفقراء ومصلحتك تتحقق إذا قلت الحق ومصلحتك تتحقق إذا ابتعدت عن الزنا ومصلحتك تتحقق إذا كنت بارا بوالديك ومصلحتك تتحقق إذا أخلصت في عملك وإذا رفضت أن تأخذ وظيفة أو ترقية إذا كان زميلك أحق بها قال تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ فالمصالح تتحقق ليست بما نحصل عليه من مال أو مناصب أو أبناء أو شهرة بل بما نحقق من العدل والحرية والتوحيد والعبادة.... الخ أي من حسنات وما نجتنب من سيئات فهذه الأعمال هي التي تحقق المصالح (الخير) لنا في الدنيا والآخرة فالمال الحلال فيه بركة والعفاف له تأثير علينا وعلى أسرنا والصدق ربحه

كبير حتى لو خسرنا مناصب وأموالاً وزملاء ويمنعنا العدل عن ظلم الضعفاء ومعاقبة من يعتدي علينا بأكبر مما فعل بل يدعونا الإسلام في أحيان كثيرة للصبر والطم والكرم والتسامح فنكسب محبة الناس قرييهم وغرييهم والغريب فعلاً أن من يؤمن بالله سبحانه وتعالى من العلمانيين والليبراليين يعلم أنه لن يدخل معه في قبره إلا عمله الصالح وعمله السيئ وليس ماله مهما كثر ولا منصبه مهما علا ولا أبنائه ومع هذا يجري كثير منهم وراء أمور لن تنفعه بل ستضره فكم منهم من هلك بفتنة المال أو فتنة المناصب أو فتنة الجنس أو فتنة اللامبالاة والانعزالية والكسل أو غير ذلك ولو احتكمنا للعلم الفكري والعقل السليم (وليس العقل العلماني) لقال أن معرفة الله سبحانه وتعالى وذكره والتقرب إليه بالأعمال هو الذي يحقق المصالح ومن يفعل ذلك هو من اهتدى أما عمي البصيرة فلن يروا إلا سراباً ولن يعيشوا في الحياة الدنيا والحياة الآخرة إلا في شقاء وهذا واضح في قلقهم النفسي وتعاسة أسرهم وضعف بنيانهم الاجتماعي والسياسي والعقائدي. وليعلم هؤلاء أن من يذهب إلى المسجد خمس مرات في اليوم لذكر الله سبحانه وتعالى هو إنسان يعمل من أجل مصلحته الحقيقية فالصلاة هي أهم عمل بعد التوحيد ولا يقارن بأهميتها أبداً كسب كل ما في الدنيا من أموال أو مناصب أو غير ذلك قال رسول الله ﷺ "الصلاة خير موضوع" وقال ﷺ "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب لي مما طلعت عليه الشمس" إذا كان هذا ما يقوله الأنبياء فإن ما يقوله العلمانيون أن المصالح والأرباح تتحقق فقط بما نكسب من مال ومناصب وما نشبع من شهوات فما يروونه من مصلحة هو سراب وظنون وليس حقيقة وعلماً فهم يسعون وراء أهداف غير صحيحة وتجد عندهم تصادماً بين مصلحة الفرد ومصلحة الأفراد الآخرين وتجد عندهم

تصادماً بين مصلحة قبيلة وأخرى وتصادماً بين مصلحة شعب علماني وآخر علماني وهكذا بل نجد التصادم موجوداً بين مصلحة الفرد ومصلحة الأسرة ومصلحة العائلة ومصلحة القبيلة ومصلحة الشعب لأن مفاهيم ومعاني المصلحة مختلفة بين فرد وآخر وبين شعب وآخر وأنا أتحدث عن المخلصين منهم فالعلمانية قائمة على الآراء المتناقضة والعلم والحق ليس آراء وهذا يجعل من الطبيعي أن تتصادم مصالح الأفراد والأسر والشعوب وفي المقابل تؤدي المعاني الصحيحة والفكر العلمي القوي (الإسلام) إلى تحديد المصالح الصحيحة للمصلحة في كل الدوائر الصغيرة والكبيرة وتجعلها تعمل بصورة متكاملة ومتوازية فلا تتصادم ولا يتم الاختلاف حولها قال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٥) سورة الأنعام وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) سورة الملك وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠) فاعترفوا بذنوبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴿١١﴾ سورة الملك. قال الأستاذ أنيس منصور ”إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح“ وإذا تركنا جانباً المبالغة في هذا القول فأقول إن ضعف الإيمان هو الذي يجعل المصالح والشهوات تسيطر على الإنسان وأن الإيمان القوي لا يتحقق إلا بوجود علم صحيح بالإسلام والتزام به لأن المعرفة بلا التزام معرفة إبليسية وأضيف إلى ذلك أن علاقة الليبرالية بالإيمان الصحيح غير موجود وبالتالي فتأثير المصالح سيكون قويا على الليبراليين وإذا أضفنا له تأثير الجهل الفكري عليهم نتيقن أنهم سيتخبطون في قضايا إصلاح مجتمعاتنا وحتى في إصلاح أنفسهم.

الليبرالية والقيود الذهبية

لا شك أن الإنسان يريد أن يعيش حراً وأن يتصرف كما يشاء بلا قيود دينية أو قانونية أو أعراف أو عادات وإذا قلنا أن من المعاني الرئيسية لليبرالية الحرية بمعنى أن الليبرالي حر في أفكاره وحر في تصرفاته وحر في مواقفه وحر في ملابسه.... الخ فهذا يعني أننا سنواجه مشكلة حقيقية حيث أن هذه الحرية المطلقة تعني أن من حقي أن اقتنع بأي عقائد ومبادئ حتى لو كانت ظاهرة الفساد ألسنت حراً ومن الحرية التي أريدها أن أقول ما أريد حتى لو كان اتهام الله سبحانه وتعالى بالظلم ومن حرיתי الغيبة والنميمة وشتم الناس.... الخ واعتبر من الحرية استخدام الألفاظ البذيئة والجنسية في قصة أو مقال أو مجلس وغير ذلك. ولاشك أن هذه الحرية المطلقة مرفوضة حتى في أمريكا فهناك قانون يمنع استخدام ألفاظ عنصرية وهناك قانون يعاقب من يوجه الاتهام للناس بالسرقة أو يكذب إذا كان مسؤولاً وهناك كثير من الأفعال محرمة وهذا يعني أن الحرية المطلقة فيها جوانب شر وفساد يرفضها العقلاء ولو أعطى الإنسان الحرية لشهوته الجنسية لفسدت الأسر والنسل ولو أعطى الحرية لغضبه أو انتقامه لاعتدى على كثير من الناس ولو أعطى الحرية لبخله لما صرف حتى جزء من ماله ولو أعطى الحرية لكرمه لخسر كل ماله فالإنسان إذن يعيش ضمن قيود كثيرة أسرية أو قانونية أو عقلية والعلمانية الغربية لها قيودها فإذا خالفت القانون فالعقاب شديد ولكنها تعطيك الحرية للكفر والإلحاد والفسق فالتمرد على قوانين الشعب الأمريكي مرفوض والتمرد على شريعة الله سبحانه وتعالى مقبول وحدثني

صديق أن نسبة الزنادقة كبيرة في أوروبا وأنه قام بمناقشة رجل دانمركي حول وجود الله سبحانه وتعالى وأنه اقتنع بوجود الله سبحانه وتعالى ولكنه قال لا أريد أن أغير حياتي أي يريد أن يزني ويشرب الخمر وهذا يعني أن أحد أهم أسباب بقاء العلمانية أنها تفتح المجال أمام الشهوات المحرمة لأنها تعتبرها حرية شخصية فيدافع عنها من هو فاسق لأنها تفتح له أبواب الفسق ولو فكر بعقله لاقتنع أن الفسق فساد كبير يدمر الأفراد والأسر. ولا أبالغ إذا قلت أن مستنقع الفسق أخطر على المجتمعات من المخدرات بكثير فالشباب الفاسق لا يصلح للزواج والزوج الفاسق لا يصلح قدوة لتربية أبنائه والزوجة الفاسقة تحطم الأسرة وعموما فهناك من يتبنى العلمانية لأنها تتركه يمارس انحرافات في كثير من المجالات بحرية فلا مبادئ عقائدية أو أخلاقية ولا التزام بالحق والصواب وزاد الطين بله أن الإنسان الغربي مشغول كثيرا بعمله فلا وقت كثير عنده للتفكير في مبادئه ويفتقد في أحيان كثيرة إلى من ينتقد له العلمانية بطريقة مقنعة وبأدلة قوية. وأقول القيود الإسلامية كثيرة ولكنها ضوابط توجهنا نحو الخير وهي حصون تحميها من الشر والانحرافات فتحریم الزنا والخمر والربا والكذب والنفاق.... الخ هي قيود ولكنها تحقق مصالح الفرد والمجتمع وتشجع على حسن الخلق والصلاة وصلة الرحم والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.... الخ هي قيود أيضا تحقق فوائد عظيمة للفرد والمجتمع وتحريم الخمر شيء بسيط أمام السماح بشرب أنواع مختلفة من العصائر فالإنسان الملتزم ليس محروماً من كثير من الأشربة والأطعمة والملابس وليس صحيح أن المسلمين يريدون أن يجبروا الناس على الإسلام فلا أحد يستطيع أن يجبر أحداً على مبادئ لا يؤمن بها

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى الحرية الكاملة للإنسان في أن يؤمن أو يكفر قال تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فالإنسان الحر الحقيقي هو الإنسان الذي أعلن العبودية والطاعة لله سبحانه وتعالى والعبد الحقيقي هو الذي يطيع اقتناعاته "الخاطئة" أو شهواته أو مصلحته أو عرقه أو غير ذلك قال الأخ عبد اللطيف الدعيج بتاريخ ٢ يوليو ٢٠٠٦ بجريدة القبس الكويتية "وإرادة الأمة يجب أن تبقى حرة بلا قيود دينية أو اجتماعية وهذا ما نختلف مع" إخواننا المسلمين والمتأسلمين عليه أن الخنوع دينيا يتطلب الخنوع أو يؤدي إلى الخنوع سياسيا والذي يرضى برهن إرادته لدى رجل الدين لن يجد غضاضة من رهنها لدى رجل السياسة" وأقول ردا على مطالبة الأخ عبد اللطيف "بإرادة حرة بلا قيود دينية" إن حرية الطبيب مقيدة بقيود علمية طبية يحاكم لو رفضها وهذه القيود تحدد له الأدوية من السموم وتحدد حتى الجرعات الأدوية وأوقات تناولها وتحدد له تفاصيل كثيرة في العمليات الجراحية لا يستطيع أن يرفضها فحرية التصرف والاجتهاد للطبيب هي ضمن الحقائق المادية الطبية وكذلك الأمر للمهندس والكيميائي والفيزيائي وغير هؤلاء وكذلك الأمر مع المسلم فهو حر ضمن حدود الحقائق الفكرية الإسلامية وهذا لا يعني خضوعهم لطاعة عمياء لعلماء الإسلام أو للحكومة المسلمة بل كل هؤلاء يجب أن يلتزموا بالحقائق الإسلامية أي طاعة أمر الله سبحانه وتعالى فطاعة العلماء والمسؤولين والآباء لها ضوابط وحدود ولا شك أن حرية التمرد على العلماء في مجال معرفة الحقائق الفكرية أمر مرفوض وكذلك حرية التمرد على المسؤولين فيما هو من حقوقهم التي حددها الإسلام أمر مرفوض وكذلك الأمر مع الوالدين والزوجة وحتى الأبناء ولنتذكر أن

بالإمكان إعطاء تبريرات لكثير من الانحرافات باسم الحرية أو المصلحة أو العدل فعلى سبيل المثال كثير من الحروب تتم تحت مبررات مثل محاربة الإرهاب أو فساد نظام ما أو عقائد مرفوضة عند الطرف الآخر وعلى مستوى الفرد تجد تبريرات لكثير من الانحرافات فالفاسق يقول من حقي أن أتمتع بالحياة والزوجة تقول خيانتني رد فعل لخيانة زوجي والمبذر يقول مالي وأنا حر فيه والأناي يقول أنا لم أضر أحداً وأهتم بشئوني فقط والزوجة المتمردة على زوجها تقول لا أحد يتحكم فيني والموظف الكسول يقول أنا أفعل ما يفعله أغلب الموظفين ولو سلطنا الأضواء على الانحرافات التي تحدث في الانتخابات لوجدنا ناخباً ينتخب بناء على ما قدمه المرشح من خدمات والثاني لأن المرشح ينتمي إلى عرقه والثالث لأن المرشح من منطقته والرابع لأن المرشح صديق له أو لأخيه وهكذا فالأفراد يتبعون ما أقنعتهم عقولهم أنه الفعل الصحيح أو المناسب حتى لو كان الكسل أو الفساد الأخلاقي أو الرشوة وكذلك الأمر مع الحكومات والأحزاب والقبائل والأسر فهناك من ينحرف وهو مقتنع بأن ما عمله صحيح أو على الأقل يحقق فوائد له وهناك من ينحرف وهو يعلم أنه على باطل وخطأ ويهمنا هنا من ضيعتهم عقولهم خاصة من العلمانيين والليبراليين فإذا كان كل إنسان يقيس الخير والشر بعقله فهذه كارثة علمية كبيرة لأن العقول البشرية تختلف في آرائها ولن يقصها أن تقدم المبررات لأفعالها المنحرفة فالمفروض أن تتبع البشرية العلم الفكري (المبادئ الصحيحة) لا عقولها فإذا كنا نقيس الأمور بالقرآن والسنة يصبح من السهل معرفة الحق من الباطل ولا مكان للجدل والفلسفة والتبريرات للانحرافات فالإسلام يقول انتخبوا القوي الأمين حتى لو لم يكن ينتمي إلى

عرفنا ولم يقدم لي خدمات أما إذا كان قياسنا هو عقلي أو عقلك أو عادات الآباء والأجداد أو أقوال الفلاسفة أو التصويت الشعبي أو القانون أو الأهواء الشخصية أو مفاهيم التعصب العرقي التي علمتنا إياها قبيلتي أو وطني أو أمتي أو غير ذلك فلا شك أننا سنجد تبريرات لكثير من الانحرافات من ظلم أو كسل أو نفاق أو تعصب وهذه هي مشكلة العلمانية والليبرالية لأنها تقول لا تلتزموا بالقرآن والسنة واحتكموا إلى ما شئتم. وأذكر هنا إلى أن كثرة الحقائق الفكرية الإسلامية العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية تنقذ البشرية من الضياع وهذه الميزة تعتبر عند العلمانيين عيبا وشمولية تقيد الحرية فكأن الأفضل للبشرية أن يكون رصيدها من العلم الفكري قليلا حتى تجد الآراء الضائعة مساحات كبيرة وتجد نتيجة لذلك الأعمال الفاسدة مساحة كبيرة لأنها ترجمة للآراء الفاسدة وكثيراً ما تضع العقول العلمانية والليبرالية في فهم الحياة والواقع السياسي والاجتماعي وسلوك الأفراد لأن موازينها في قياس الأسباب والنتائج والوصول إلى التفاسير والحلول مرتبط فقط بالموازن المادية فهم لا يعرفون أن هناك سننا لله سبحانه وتعالى تحدد لنا سعادة الفرد والمجتمع وشروط النصر وأسباب الهزيمة وطرق الوصول للسعادة الزوجية وغير ذلك وهم لا يعرفون أن هناك علاقة وثيقة جدا بين طاعة الله سبحانه وتعالى وبين زيادة العلم والحكمة والبصيرة والعقلانية قال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ وكم من دول تملك المعاهد العلمية السياسية والاجتماعية ومع هذا تتخبط في كثير من قراراتها السياسية والاجتماعية بدليل أن الواقع الاجتماعي الأمريكي يزداد كل يوم تدهورا ولم تصح أوضاعه لا قرارات ولا ميزانيات ولا خطط وعموما

لنتذكر أن الله سبحانه وتعالى يتدخل في الحياة الدنيا فينصر أوليائه ويذل أعداءه قال تعالى: ﴿قل اللهم ما لك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ فالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بصورة صحيحة هو أساس القوة والعزة والسعادة النفسية والابتعاد عنه هو أساس الضعف والذل والتعاسة والغريب فعلا أن نجد كثيراً من المسلمين يطلون أوضاعنا السياسية وهم متأثرون بالعقل العلماني الذي لا يرى إلا الجزء المادي من الواقع فمثلا استمعت لآراء كثير من المثقفين العراقيين في أوضاع العراق ولم أجد من يقول أن العمود الفقري لإصلاح الأوضاع هو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والالتزام بالصلاة وغيرها وما ينطبق على العراق ينطبق على كل الدول فعلاج الفقر والعصبيات العرقية والفتن والفساد المالي والسياسي وغير ذلك يتطلب الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ومعرفته وطاعته أما من يرى الإصلاح فقط في إسقاط حكومة أو حاكم أو ثورة شعبية أو اتفاق سياسي أو تحطيم المعارضة فهو مخطئ. أليس من حق الشعوب أن تقلق على حاضرها ومستقبلها إذا كان الإصلاحيون لا يعرفون هل أغلب أوراق الإصلاح بيد الشعب أو بيد الحكومة؟ أليس من حق الشعوب أن تعرف الفرق بين من يريد الإصلاح ومن يستحق الإصلاح؟.

عقلك يخذلك

إذا زار رجل أول مرة الصحراء وليس له علم بظاهرة السراب ورأى سراباً فسيظن أنه ماء وإذا قلت له إنه ليس ماء سيتهمك بالجهل لأن الماء يراه بعينه ومثل هذا الرجل سيعرف أن عينه تخدعه إذا زاد علمه ومثل هذا الأمر ممكن أن يقال للعقل فكثير ما يخذع العقل أصحابه. فكم من إنسان يرى بعقله أن العلمانية أو الليبرالية أو الاشتراكية أو المسيحية المشوهة أو البوذية أو غير ذلك أنها هي المبادئ الصحيحة وكم إنسان يرى أن مصلحته الشخصية تتحقق بزيادة رصيده من المال أو المناصب وكم من قبيلة وشعب أو أمة يعتقدون أن مصلحتهم بالتعصب العرقي وأخذ أكبر كمية من المكاسب والمزايا لهم وكم من زوجة ترى مصلحتها بأن تأخذ من زوجها الغني أكبر كمية من المال ولا ترضى بحقوقها المالية الشرعية في حياته أو بعد موته وكل هذه العقول ضائعة أي جاهلة وكثير من هؤلاء لديهم شهادات جامعية وثقافية وخبرة في الحياة ومع هذا تخدعهم عقولهم فلا يرون الحقائق الفكرية ويتبعون السراب الفكري. وقال لي شاب مسلم لديه شهادة جامعية ومعدل مرتفع جدا من جامعة بريطانية إن مصلحتي تتحقق بحصولي على بعثة دراسية حتى لو كانت بوسائل غير شرعية كالرشوة مثلا فهو مقتنع بأن الغاية تبرر الوسيلة ولا شك أن هدفه نبيل فهو يريد مزيداً من العلم وليس هدفه أخذ أموال الناس مثلا وما هو مقتنع به يقتنع به كثيرون فهناك شباب يكذبون على أهل الفتاة التي يخطبونها وهناك العكس وهناك موظفون يكذبون على مدراءهم وهناك العكس وهناك من يكذب في البيع أو الانتخابات أو الإعلام وهناك من

يظن بأن الغش في الامتحانات يحقق مصالحه وهناك الأستاذ الجامعي الذي يظن بأن قبول الواسطة في إنجاز الطلبة الفاشلين يحقق مصالحه والأمثلة كثيرة جدا وقلت لصاحبي الشاب إن عقلك يخدعك فلا تطعه فمصلحتك لا تتحقق بحصولك على بعثة دراسية عن طريق الرشوة وما تراه فهو سراب وما يحقق مصلحتك الحقيقية هو اتباع العلم الشرعي أي الإسلام الذي يدعو إلى أن تكون وسائلنا شرعية وأن نلتزم بالحق والصواب في الوصول إلى أهدافنا وإذا التزمنا بالوسائل الشرعية فقد حققنا مصالحنا حتى لو لم نحصل على بعثة أو منصب أو مال أو فتاة نرغب في الزواج منها أو غير ذلك فمصلحتنا تتحقق من خلال زيادة رصيدنا من الحسنات وتقليله من السيئات ولا شك أن الرشوة تزيد رصيدنا من السيئات وأن الله لا يبارك في بعثة تم الحصول عليها بطريقة فاسدة فالذنوب والمعاصي منبع الشقاء والفشل والتعاسة النفسية في الدنيا والآخرة والتزامنا بالحق يجعلنا نحيا حياة طيبة وسعيدة حتى لو كان رصيدنا من الشهادات أو المال أو المناصب محدود ويخدع الشيطان عقولنا عندما يقنعنا أن مستقبلنا أو سعادتنا قائمة على الحصول على بعثة أو وظيفة أو منصب فإذا كان الحصول على بعثة يتطلب رشوة في مكان ما فهناك أبواب أخرى للبعثة لا تتطلب الرشوة كما أن كثيراً من أبواب العلم الذي هو هدفنا من البعثة مفتوحة فيمكن زيادة العلم من خلال القراءة ومشاورة الخبراء وممارسة العمل والدورات التدريبية وغير ذلك وكم من علماء كبار تميزوا بعلمهم وهم ليس لديهم شهادات جامعية أو عليا ومن هؤلاء أديسون وكثير من السياسيين وعلماء الإسلام والصحفيين وغيرهم. وما أدعو إليه ليس مثاليات أو غباء أو عدم معرفة بواقع الناس بل هو ما أمر به الله سبحانه

وتعالى والأنبياء وهو ما يدعو له العلم الفكري والعقول السليمة وإذا كان الطبيب يتبع الحقائق المادية في علم الطب وعلى أساسها يسير في عمله وإذا انحرف عنها أخطأ بل قد يحاكم ويسجن لما في ذلك من خطر على صحة الناس فلا يقبل من الطبيب أن يقول اتبعت عقلي إذا خالف حقائق العلم والمعرفة وكذلك الأمر مع الإنسان وحقائق الإسلام فإذا اتبع عقله ولم يلتزم بالمفاهيم الإسلامية للمصلحة الشخصية فهو إنسان يضر نفسه من حيث لا يعلم قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (٣٩) سورة النور ولنتنبه إلى أن الإنسان يستطيع أن يبرر "عقليا" كثيراً من آرائه فيستطيع أن يمدح العزوبية ويذم الزواج أو العكس ويستطيع السياسي أن يبرر قراره بالحرب أو السلام في كثير من الصراعات وعموما فذكر الإيجابيات أو السلبيات أو كلاهما وإعطاء أوزان مختلفة باختلاف عقول أصحابها ليس الأسلوب العقلي الصحيح بل لا بد من ربط كل هذه القضايا بالأسس الفكرية الصحيحة حتى نعرف الحق من الباطل إذا كان الأمر في القضايا الفكرية الأساسية ومعرفة الصواب من الخطأ في الاجتهادات الفكرية فموقف المسلم من الزواج مثلاً هو تأييده وتشجيعه وتيسيره وأقول احذروا الآراء والتبريرات والتزموا بالصراط المستقيم ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل الذي قال "الحديث الضعيف عندي خيراً من الرأي". وأضيف إلى ذلك أن العقول الجاهلة تظن السعادة في زيادة المال والمناصب وهذه أو هام فالسعادة لا تتحقق إلا بالقرب من الله سبحانه وتعالى وطاعته وما أقوله تثبته الحقائق الواقعية واقروا الحياة الشخصية الحقيقية لكبار الأغنياء والسياسيين

والممثلين وغيرهم ممن هم بعيدون عن معرفة الله سبحانه وتعالى وطاعته وستقتنعون أنهم أشقياء وتعساء وأقول وأكرر اتبع العلم الشرعي ولا تتبع عقلك وهذا يتطلب أن تدرس العلم الشرعي وتساءل علماء الإسلام لأن البعض بل الكثيرين ليس لديهم الحد الأدنى من العلم الشرعي فيظنون أن الغاية تبرر الوسيلة في أمور كثيرة أو يضعون أهدافا غير شرعية ويعتمدون على عقولهم فيما فيه حقيقة فكرية واضحة في القرآن أو السنة . وإذا كان الإسلام يقبل في أحيانا بعض الانحرافات مثل السماح بأكل لحم الخنزير لمن خشى على نفسه من الموت جوعا أو إعطاء رشوة للحصول على حق له لا يصله بغير ذلك فإذا هذه استثناءات تحت ظروف اضطرارية لا يجوز شرعا التوسع فيها فالإنسان ليس حقيقة مضطراً للحصول على شهادة علمية وليس مضطراً للحصول على مال حرام حتى لو اضطر أن يتسول وإذا اتبعنا العلم الشرعي سنعلم أن أرزاقنا قد كتبها الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ (٢٣) سورة الذاريات وبالتالي فلا يزيد في الرزق أن نناق أو ندفع رشاوى أو نغش في بضاعة ولن ينقصه أن نقول كلمة الحق في عملنا وجزء من سعادة المسلم في هذه الدنيا أن يطمئن نفسيا أن رزقه ورزق أبنائه مكتوب ولا يستطيع كل البشر ولو اجتمعوا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه شيئا ومن الأمثلة الواقعية هو ما نراه من ثروات نفطية غيرت حياة عشرات الملايين من العرب من غير جهد منهم ولا تميز في التكنولوجيا وجعل الله سبحانه وتعالى العالم بحاجة لهذا النفط والأمر لا يقتصر على النفط بل نعم الله تصل لكل البشر من أمطار وثرورات بحرية ونهرية ومعادن وأماكن جميلة وأنعام

وطيور ومحاصيل وفواكه.... الخ والإنسان الجاهل هو الذي يظن أن عقله أو شهادته أو اجتهاده أو الوساطة هي التي أوصلته للرزق ولو حرمننا الله سبحانه وتعالى من نعمة الهواء لمات البشر كلهم خلال دقائق ولم تنفعهم عقولهم وكل التكنولوجيا التي لديهم وكل الأموال التي يمتلكونها وما أقوله في قضية الرزق والخير بشكل عام من صحة أو زيادة في العلم قضية يجب أن يأخذ فيها المسلم بالأسباب المادية من تفكير وتخطيط وعمل جاد ولا شك أن لدى البشر تأثير على الأسباب المادية ولكن الكلمة الأخيرة هي لله سبحانه وتعالى فكم من نظام حكم حاولت دولة عظمى إسقاطه ولم يسقط وكم حاولت الولايات المتحدة قتل أسامة بن لادن ولم تفلح منذ خمس سنوات مع إن إمكانياتها المادية هائلة جدا فالأسباب المادية لها تأثير ولها ثمرات وكذلك للأسباب الإيمانية ولا يظلم ربك أحدا والله سبحانه وتعالى بيده أن يجعل في المال القليل بركة ويجعل في المال الكثير شقاء فيتحاسد الأخوة أو يضيع في التبذير أو غير ذلك ولا شك أن كثيراً من المسلمين لم يأخذوا بالأسباب الإيمانية ولا بالأسباب المادية في حين أن الغرب أخذ بدرجة كبيرة بالأسباب المادية من علم مادي واجتهاد في العمل وأخذ حتى ببعض الأسباب الإيمانية (الفكرية) من شورى وحرية رأي ولهذا حقق تقدما وحققنا تخلفا. وأنبه هنا أن الليبراليين والعلمانيين لا يرون الحقائق الفكرية (الإيمانية) ولهذا يتخبطون في عقائدهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية وغير ذلك وهم أيضا لا يتبعون "العقل" كما يدعون بل كل فرد يتبع عقله وما أكثر العقول وهو مقتنع بما لا يقتنع به الليبراليون الآخرون في المبادئ الأساسية وهذا يثبت أنهم لا يتبعون العلم الفكري لأنهم متناقضون والعلم يوحد والجهل يفرق لأنه مفاهيم كثيرة

متناقضة ومن سذن الله سبحانه وتعالى أنه يعمي عقول وبصائر من يكفر به ويعصيه قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (٦٩) سورة العنكبوت وقال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (٤٠) سورة النور فكلما اقترب المسلم من الله سبحانه وتعالى علما وعملا وعبادة كلما زاد رصيده من النور والهدى في حين أن العلمانيين غير مقتنعين بوجود علم ونور في الدين وخاصة في المجال السياسي ويعيشون على الآراء التي تراها عقولهم الضائعة بل يعتبرون الكل علماء في العلم الفكري فيسأل هذا عن رأيه في العلاقة بين الدين والدولة ويسألون الثاني عن رأيه في الزواج والثالث عن رأيه في العقوبات المناسبة للقاتل ويسألون الرابع المسؤل الكبير عن رأيه في دولة ما وهكذا وكل فرد من هؤلاء يقول رأيه وما وصل إليه عقله بدون أن يكون منطلقا من قاعدة من العلم الفكري ولهذا يضيع البشر ويزداد الشر والفساد فالعلمانيون يفتون في القضايا الفكرية أي هم علماء مع اقتناعهم بأنه لا يوجد علم والعقل السليم يقول إذا لم يوجد علم فلا يوجد علماء قال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (٨) سورة الحج.

العقول الضائعة

أتمنى أن يدرك العلمانيون والليبراليون أن العقل يضيع في معرفة الحق من الباطل في كثير من أمور العقائد والسياسة والحياة الاجتماعية إذا استخدم الأسلوب العلماني في فهمها لأنه أسلوب ليس لديه رصيد من العلم الفكري فهم لا يعرفون الإيمان من الكفر ولا العدل من الظلم ولا الحرية من الفوضى ولا الجهاد من الإرهاب ولا التشريع الصحيح من التشريع الخاطئ ولا حرية الرأي من حرية التشويه فالعلمانيون يعتمدون في نقاشهم على معلومات عن الواقع السياسي أو التاريخ أو الدول أو الأحداث أو العقائد أو غير ذلك وهذه ثقافة وليست علماً فكرياً وهذا لا يعني أنهم لا يعرفون بعض المبادئ الفكرية مثل أن السرقة خطأ والكذب باطل وأن الأمانة حق فهذه أمور لا اختلاف بين البشر حولها ومن البديهيات التي يعرفها الجميع أنه من ليس لديه رصيد علمي مادي لا يحق له العمل أو حتى التكلم في العلم الذي يجهله فمن ليس لديه رصيد من علم الطب لا يسمح له أن يعمل بالطب بل يحاكم لو فعل ذلك لأنه يتعامل مع الواقع (المرضى والأمراض) عن جهل وكذلك الأمر مع المهندس والكيميائي وغير ذلك وهذا هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه الليبراليون والعلمانيون لأنهم مقتنعون بأنه لا يوجد علم فكري وهذا جعل آراءهم الفكرية الاجتهادية تسبح في ظلمات الجهل وتتناقض مع بعضها بعضا حول كل قضية فكرية أو واقعية فهم يتناقضون حول معاني الحرية والعدل وحول مفاهيم الإصلاح..... الخ ويتناقضون ويختلفون حول ما في الواقع من دول وأنظمة وأحزاب ومواقف وأفراد وأعمال وما يهمنا أن العقل بدون

رصيد من العلم الفكري يستطيع أن يمدح الرأسمالية ويذم الشيوعية ويستطيع أن يفعل العكس فيستطيع مثلاً أن يمدح المساواة الشيوعية والأمية الشيوعية بل وحتى الإعلام الشيوعي والاستبداد وهذا ما حدث فعلاً في القرن العشرين فمثلهم كمثل عقول تتحاور وتتناقش في علم الطب وفي تشخيص أمراض البشر وهم ليسوا أطباء وبالتالي فالآراء ستكون متناقضة وهناك مبررات لكل رأي وكثير من المبررات تبدو مقنعة عقلياً ولهذا يستحيل في أحيان كثيرة حسم اختلافاتهم سواء كانت فكرية أو سياسية أو اجتماعية ويتحول نقاشهم إلى جدل بيزنطي وأقول وأكرر أن العلمانيين والليبراليين يلجئون للديمقراطية في كل شيء لأنهم عجزوا عن الاحتكام إلى العقل بل ألغوا الاحتكام إلى العقل من قاموسهم وما دام الأمر كذلك فمن الطبيعي أن تتأثر قوانينهم وأهدافهم بمصالح الأقوياء من أغنياء أو العصبية أو القوة العسكرية بل من الطبيعي أن تتأثر حياة الفرد بنوع ما قرأ وبتجاربه الشخصية ومفاهيم والديه أو غير ذلك فلا يوجد عندهم حق ولا صواب (علم) و(ثوابت) يلتزمون بها في دولهم أو على مستوى الفرد والأسرة وتصور حياة الناس لو لم يوجد علم وحق وثوابت في الطب إن الحياة الطبية ستكون جحيماً لأن آراء الأطباء ستتناقض وغياب الثوابت في الفكر العلماني معناه لا يوجد تراكم علمي للحقائق كما يحدث في علم الطب ومعناه أنهم في جهل وسيبقون في جهل وهذا العيب الواضح يعتبرونه مرونة أو انفتاحاً أو تطوراً فكرياً وهذا تزوير لأن التطور هو تراكم للحقائق العلمية فكيف يحدث تطور ولا يوجد حتى حقائق بديهية في الفكر العلماني وأنا لا أتجنى على العلمانيين أو الليبراليين فحتى وجود الله سبحانه وتعالى لا يعتبر عندهم حقيقة علمية فكرية فما بالك ببقية القضايا

الفكرية والأسوأ من ذلك أنهم يدافعون عن مبادئهم كفصل الدين عن الدولة مع اعترافهم أنها ليست حقيقة فكرية بل آراء تحتل الصواب والخطأ فتجد مثلا من يكره المرأة وتجد منهم من يعتبر المال والجنس أهم ما في الحياة ولو أخذنا مواقف العلمانيين والليبراليين العرب من الرئيس جمال عبد الناصر لوجدنا التناقض الكبير فبعضهم يعتبره بطلا قوميا وآخرون يعتبرونه مجرما كبيرا وهذا التناقض هو في مواضيع كثيرة أما مواقف المسلمين الملتزمين الواعين فهي مواقف متحدة في القضايا الفكرية ومتقاربة في قضايا الواقع من قضايا سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وأنا هنا أتحدث عن الاتجاه العام للمسلمين لأن الحالات الشاذة لا يقاس عليها وأكبر دليل على الضياع العلماني والليبرالي هو تناقضهم واختلافهم وليتهم اكتفوا بذلك بل يحاولون تصدير الضياع (الجهل) للمسلمين من خلال ما يلي:-

١- يأتون لما يملكه المسلمون من رصيد فكري في القرآن الكريم والسنة النبوية ويحاولون إقناع المسلمين أنهم مختلفون وأن آيات القرآن تحتل أكثر من معنى وأن كل عقل بشري يحق له تفسير القرآن والتكلم في الإسلام فلا توجد ثوابت (حقائق) إسلامية بل آراء وهم لا يعترفون بوجود حقائق إسلامية ولا بوجود علماء مسلمين وذلك حتى يسهل على الناس قبول فكرهم العلماني ولا شك أن من بديهيات العقل أنه لا يحق للعلمانيين التحدث في الإسلام وهم ليس لديهم علم بآيات القرآن ولا أحاديث الرسول ﷺ ولا بسيرته ولا حتى باللغة العربية فما يفعلونه هو عبث فكري و جهل شنيع .

٢- كثير ما يحمل العلمانيون المسلمون آراء واجتهادات شاذة لفرق إسلامية أو لعلماء مسلمين أو لجمود فكري أو لمسلمين متطرفين أو حتى لجماعات

خرجت بتطرفها عن دائرة الإسلام وعموما التطرف والانحرافات والأخطاء موجودة في كل المبادئ الدينية والعلمانية وليس من الأمانة العلمية والموضوعية أن يتم تشويه الحقائق الفكرية وأهل الحق بتسليط الأضواء على فكر متطرف أو فئة ضالة وأخبرني أحد المسلمين الذين درسوا بالغرب أنه لاحظ ان الإعلام الغربي يسلط الأضواء على المتطرفين المسلمين وهدف هذا الإعلام هو تنفير الناس من الإسلام والمسلمين.

٣- يصنع العلمانيون والليبراليون مشكلات وهمية فكرية أو سياسية فتجدهم يتكلمون عن المسلمين والمسيحيين في الدول العربية مع أن ٩٠٪ من العرب مسلمون وهذه أغلبية ساحقة بل تصل النسبة في أغلب الدول العربية إلى ٩٩٪ ويتكلمون عن الاختلاف بين السنة والشيعة مع أن الأغلبية الساحقة من الدول العربية دول سنية ولا توجد مشكلة طائفية حقيقية حتى في العراق ذي الأغلبية الشيعية وإذا كان هناك بعض الظلم لهذا الطرف أو ذاك فهو شبيه بالظلم السياسي أو العرقي أو الطبقي الذي نجده موجوداً في أغلب دول العالم العربي أي هو ظلم صنعه الناس ولم يصنعه الإسلام.

٤- يتلاعب العلمانيون وخاصة الإعلام الغربي بالمصطلحات الفكرية فيطلق كلمة إرهاب حتى على المقاومة للاحتلال الأمريكي أو الإسرائيلي ويسمي الاحتشام تزمت والتبرج تحرر والفساد حرية شخصية والكفر والزندقة حرية فكر ورأي ويصفون التمسك بكتاب الله وسنة رسوله بالسطحية والرجعية أو جمود فكري أو أساطير أو حنين للماضي أو تراث قديم ومبادئ من العصور الوسطى وأقول هل أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياء جديداً وإذا كانت الإجابة بالنفي فلا شك أن قمة العقل والحكمة بالسير في

طريق الأنبياء وأضيف إلى ذلك أن العلمانية وكل مدارسها هي مدارس قديمة منذ خلق الله الإنسان على هذه الأرض فلا يوجد مبادئ حديثة فالإيمان قديم وكذلك العلمانية (الكفر والزندقة) ولكن المشكلة أن بعضهم لا يعرف المبادئ الصحيحة بل لا يعرف حتى التاريخ.

٥- يتلاعب العلمانيون والليبراليون بالحقائق الواقعية ليوهموا الناس أن فكرهم العلماني راق وأن الفكر الإسلامي متخلف فما أكثر جرائم الاستعمار الأوروبي العلماني للشعوب خلال الثلاثة قرون الماضية لقد قتل وبلا مبالغة الملايين كما أن الحربين العالمية الأولى والثانية جرت بين دول علمانية وليست دينية وقتل فيها أكثر من خمسين مليون من البشر وما قتله أمريكا من الأبرياء منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وحتى الآن أكثر مما قتله المتطرفون الإسلاميون من الأبرياء خلال هذه الفترة فجرائم انتهاكات حقوق الإنسان والسجون السرية والأسلحة المحرمة واضطهاد الشعوب واستعمارها وتعذيب السجناء.... الخ تتم بأيدي أكبر وأفضل مثال للدول العلمانية ألا وهي الولايات المتحدة هذا طبعاً غير انتهاكات كثيرة لحقوق الإنسان تحدث في كثير من الدول نتيجة الأوامر الأمريكية واحتلال العراق من قبل أمريكا وبريطانيا وبلا أي سند دولي يسمى تحريراً للعراق وكلنا يتذكر أكاذيب وزير خارجية الولايات المتحدة كولن باول في الأمم المتحدة عن وجود أسلحة دمار شامل في العراق بهذه المفاهيم الكاذبة وغيرها كثير قامت العلمانية الغربية بإعلامها القوي بتشويه الحقائق الفكرية والواقعية والمشكلة أن كثيراً من البشر يستمعون فقط لهذا الإعلام ويصدقونه فمن الطبيعي أن يقتنع أن المسلمين الواعين

متطرفون أو جامدون أو ضائعون أو متعصبون لا يفهمون الحياة والواقع وليس لديهم فكر يصلح لبناء الدولة ومن يريد أن يرى الحقائق فلا بد ان يجعل رضى الله سبحانه وتعالى هو قضيته الأولى وإلا سيعمي الله عقله مهما كان لديه من شهادات وخبرة وذكاء وثقافة قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (٦٩) سورة العنكبوت وقال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (٤٠) سورة النور وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ (٧٢) سورة الإسراء.

الطفيليون من المثقفين

غريب أمر هذا الكائن البشري وخاصة النوع المثقف منه حيث تجده يتكلم في كثير من المجالات التي لا يفقه حتى أساسياتها وكم مثقف عربي تحدث وكتب في السياسة وهو ليس بصاحب خبرة لا في العلوم السياسية ولا الواقع السياسي وكم من مثقف علماني كتب عن العلمانية والإسلام وبقية المبادئ ومجال تخصصه الهندسة أو الاقتصاد أو أمراض الحيوانات وكم وكم وكم من مسئول سياسي أو طبيب أو باحث علمي أو غير ذلك أخذ يفتي في مجال التخطيط والإدارة والتطوير الإداري وهو لا يعرف بديهيات التخطيط ولا أساسيات الإدارة وهذا أحد الأسباب الرئيسية لفشل وزارات ومؤسسات وشركات عديدة في الوطن العربي وأتمنى أن يتم عمل امتحان للمسؤولين لقياس معرفتهم في الإدارة خاصة أن بعضهم يديرون وزارات أو مؤسسات بها الآف العاملين بل أحيانا عشرات الآلاف ويجب أن ندرك أن علم الإدارة ليس علماً بسيطاً وكذلك الأمر في السياسة والإصلاح والعقائد فالأمر يحتاج إلى دراسة وتخصص وتأكدوا أنه إذا لم نتكلم عن علم فنحن نتكلم عن جهل وصحيح أننا لا نستطيع أن نمنع من يريد أن يتكلم أو يكتب ولكن لا بد من إيجاد قنوات ومؤسسات تسمح للمتخصصين فقط بالكلام والمشاركة وعلينا ألا نقرأ إلا لهؤلاء وعلينا تحرير المجالات العلمية من المتطفلين عليها ممن ليسوا أهلها فهذا هو الجهل الحديث الذي يشكو منه القراء لجرائدنا والمشاهدين لقنواتنا الفضائية فإذا كنت صاحب شهادة جامعية في العلوم البحتة فإن هذا لا يؤهلك لأن تتحدث في الإدارة أما إذا كنت صاحب شهادة ماجستير في الحاسب الآلي فإن هذا لا يؤهلك للحديث عن تطوير الموارد البشرية أما إذا كنت صاحب

شهادة دكتوراه في المحاماة فارحم البشر ولا تتكلم عن الإصلاح السياسي
وقديما قيل ”لو سكت من لا يدري لاستراح الناس“ فمتى سيسكت من لا
يدرون وأحد أسباب تخلفنا في الوطن العربي هو غياب المعاهد العلمية
المتخصصة والمتفرغة للدراسات والبحث العلمي في السياسة والاقتصاد
والعقائد والإدارة.... الخ فلنوجد لها ولدعمها ماليا وسياسيا وشعبيا حتى
يتكلم كل متخصص في مجال تخصصه بعد دراسة وبحث وبصورة جماعية
حتى يخجل ويصمت الطفيليون من المثقفين وما أكثرهم وإذا فعلنا ذلك فإننا
نحقق قفزة علمية هائلة لأوطاننا وأمتنا ورحم الله كبار علماء الإسلام الذين
كثيرا ما كانوا يقولون في مجال تخصصهم لا نعلم هذا هو الرقي واحترام
العلم والحقائق والصواب . وإذا كان من طبائع البشر وعاداتهم حب الكلام
وإصدار الفتاوى وادعاء العلم فيما لا يعلمون والخجل من الاعتراف بالجهل
حتى في غير مجال تخصصهم وإذا كان من عاداتهم أن تكون مراجعهم
”العلمية“ في التحدث في مجال ليسوا متخصصين فيه هو الجرائد والإشاعات
والقنوات الفضائية.... الخ فإن هذا الفساد العلمي يتضاعف تأثيره إذا أضيف
إليه دافع الكراهية والعداء وعندما يتحدث الجهل والكراهية تصبح حالة
المريض مستعصية فالكراهية تمنعه من الاستماع للمتخصصين في العلم من
علماء الإسلام أو غيرهم ولنتذكر أن الإمام مالك بن أنس رحمه الله سئل عن
ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أعلم ولنتذكر أنه كلما
زاد علم الإنسان قل كلامه ولم يتكلم فيما لا يعلم ومن تكلم في غير مجال علمه
فهو جاهل وهذه الجاهلية الحديثة وهي أشد خطرا من جاهلية غير المتعلمين
لأن هؤلاء لا يستمع إليهم أحد ولا يكتبون في الجرائد ولا يؤلفون الكتب .

من أين جاءت مبادئك؟

ثورة هائلة في الوصول للحقائق الفكرية الأساسية ستحقق بإذن الله تعالى إذا سأل من يختلفون في عقائدهم ومبادئهم بعضاً من أين جاءت مبادئك؟ لا ما هي مبادئك؟ فالمفروض أن نبحث عن المنبع الذي تخرج منه العقائد والمبادئ وهل هو منبع نقي أو ملوث أي هل هو منبع صحيح أو خاطئ فالسؤال إذن ما الذي يثبت أن مبادئك الأساسية هي الصحيحة؟ فإذا قلت مبادئك جاءت من آبائي وأجدادي أقول هذا لا يثبت أنها منبع صحيح وإذا قلت اقتنع بها عقلك أقول هذه ليس منبعاً صحيحاً لأن للناس عقولاً وجاءت بمبادئ كثيرة متناقضة فأبي عقل منهم نصدق فليس هناك شيء محدد أسمه العقل، فالعقل ليس منبع للحق إلا إذا استخدم بطريقة صحيحة وإذا قلت مبادئك نابعة من الدستور أقول هذا رأي شعب أو حتى حكومة ليس هو المنبع الصحيح لأن الدساتير عقد اجتماعي واتفاق سياسي أكثر منها مبادئ صحيحة ولو احتكنا للدستور لوجدنا دساتير كثيرة ومتناقضة وبالتالي لا تعد المنبع الصحيح أما إذا قلت مبادئك نابعة من اقتناعي بفيلسوف أو مفكر أو مصلح فأقول ما أكثر الفلاسفة والمفكرين والمصلحين وما أكثر تناقضهم وإذا قلت أن مبادئك نابعة من دين سماوي أقول هناك أديان سماوية فيها اختلاف فما الذي يثبت أن الدين السماوي الذي تؤمن به هو الصحيح؟ وحتى تتضح الصورة أقول المبادئ (الحقائق) في العلم المادي نابعة من التجربة والمشاهدة والاستنتاج لا آراء علماء المادة أو غيرهم فمن وصل إلى منبع "التجربة والمشاهدة والاستنتاج" سيصل إلى الحقائق المادية أما

منبع الحقائق الفكرية (العقائد والمبادئ) فهو من يملك الأدلة على أن مبادئه جاءت من الله سبحانه وتعالى فهذا المنبع هو الذي يحدد المبادئ الصحيحة للإيمان والكفر والحرية والعدل والمساواة والإجابات الصحيحة على كثير من الأسئلة الفكرية التي تواجهنا والتي تتعلق بالجوانب العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في حياتنا بما فيها من سلام وحرب وغنى وفقر ومصالح وصراعات ودرسات وقوانين وعادات..... الخ وإذا كانت الأديان السماوية تقول أنها نابعة من الله فهذا صحيح ولكن حدث تحريف في المسيحية واليهودية ولهذا بعض مبادئها ليست مما أمر به الله سبحانه وتعالى. وأتمنى أن تطبق الفرق الإسلامية مبدأ من أين جاءت مبادئك؟ لا ماذا تقول؟ والغريب أن كثيرين من البشر وكثير من المسلمين لا يتوقفون كما يجب عند صحة المنبع مما يقلل كثيرا جدا من الوصول إلى الحق في القضايا الفكرية الأساسية والاجتهادية وتذكروا أنه لو سألنا ماركس من أين جاءت مبادئك سيقول من عقلي ومن تأملي في التاريخ وكذلك سيقول هتلر وغير هؤلاء سيقولون قولهم ومن الضياع أن نناقشهم في محتوى مبادئهم إلا في حالات قليلة ولو قلنا لهم أن منبعهم خاطئ وأن "الأدلة العقلية" تثبت جهل من نفى الخالق سيسقط البنيان الشيوعي كله والطريف أن الشيوعية على جهلها الشنيع "أعقل" من العلمانية الرأسمالية لأنها حاولت أن تعتمد على أدلة عقلية تثبت عدم وجود إله أما الرأسمالية العلمانية فلا يوجد لها منبع أبدا إلا أوهام الناس أن منبعها العقل وهو كلام مرفوض لأنه لا يوجد عقل واحد يحتكم إليه بل يوجد عقول بعدد السكان الطبيعيين في الكرة الأرضية وإذا كان للعلمانية الرأسمالية دليل تستند عليه فهو أن الدين المسيحي خطأ

وأن العلم المادي أثبت خطأ بعض ما تقول بالدليل القطعي وهذا صحيح ولكن هذا بحد ذاته ليس دليلاً على أن الرأسمالية الغربية على حق فهي ليست قائمة على أي دليل علمي أبداً بل تحاول أن تركز على الشعارات والمبادئ العامة واثبات خطأ الآخرين بالحق والباطل وإذا أضفنا إلى ذلك أن العلم المادي الذي أثبت وجود انحراف في المسيحية يلتقي مع الإسلام الذي أثبت وجود انحراف فيها قبل العلم المادي بعشر قرون ورفضها كدين وأضفنا إلى ذلك أن العلم المادي لم تثبت حقائقه الكيميائية أو الفيزيائية أو الإحيائية أو غيرها أبداً أن فصل الدين عن الدولة حقيقة علمية وكذلك الأمر بالنسبة للاحتكام للشعب في تحديد المبادئ الصحيحة وهو بريء من كل ما تقوله العلمانية من مبادئ ومعاني للحرية والعدل والمساواة لأن هذه الأمور لا تدخل ضمن مجالات العلم المادي إذا أدركنا هذا سنعرف أن العلمانية الرأسمالية هي أكبر عملية تزوير عاشتها البشرية خلال العصر الحديث. والغريب أن هذه العملية لا زالت مستمرة وبنجاح كبير مع أننا دخلنا القرن الواحد والعشرين والمطلوب أن يتعمق عقلاء البشر في هذه القضايا الفكرية حتى يستطيعوا أن ينزعوا ثوب العقل عن الجهل العلماني فيعرف الناس كم كانوا مخدوعين.

العلم يتبرأ من العلمانية

من أكبر الأوهام التي تعيشها البشرية هي الظن بأن العلمانية قائمة على العلم والعقل فالعلم المادي برئ من العلمانية برأءة الذئب من دم يوسف عليه السلام فلم يثبت علم الكيمياء أن فصل الدين عن الدولة حقيقة علمية ولم يثبت علم الفلك أن الزنا جزء من الحرية الشخصية ولم يثبت علم الطب أن العقائد قضايا هامشية لا يجوز أن تشغل اهتماماتنا ولم يثبت علم الفيزياء أن المعاني التي وصلت إليها العلمانية للحرية والعدل والمساواة هي المعاني الصحيحة وهكذا. أما العلم الفكري وهو الذي جاء في القرآن والسنة وقبلهما في الرسالات السماوية اليهودية والمسيحية قبل تشويهما فهو يقول توحيد الله ومعرفته وذكره وطاعته وعبادته هو أهم شئ في الحياة وليس قضية هامشية والعلم الفكري يعتبر فصل الدين عن الدولة كفراً واضحاً وصريحاً والعلم الفكري يأمرنا بتطبيق الشريعة الإسلامية في حياتنا الاجتماعية والسياسية.... الخ فالعلم الفكري يتبرأ أيضاً من العلمانية أما كون الدول العلمانية الغربية متطورة في العلوم المادية فهذا لأسباب لعل أهمها التنافس العسكري والاستعماري والاقتصادي بين هذه الدول وشركاتها وهذا التطور العلمي التكنولوجي يتحقق في دول بوزنية وشيوعية وإسلامية فالذي يصرف أموالاً كثيرة على البحث العلمي يتطور فيه وهناك دول علمانية كثيرة متخلفة تكنولوجياً فالعلمانية ليست هي التي صنعت التطور في العلوم المادية وهذا لا ينفي تشجيعها له. وأضيف إلى ذلك أن العلم المادي فيه علماء والعلم الفكري (الإسلام) فيه علماء ولا يتكلم في العلم بشقيه إلا من درس فيه ونال

شهادة فهو علم له أصوله وأسسها أما العلمانية فليست لديها علماء ولا حتى مراجع معتمدة من أهلها لأنه ليس لديها علم فالعلمانيون الكبار من فلاسفة ومفكرين متناقضون حول كل شيء فحتى وجود الله سبحانه وتعالى يختلفون فيه أي لا يعتبرونه حقيقة علمية وفيهم الرأسمالي والاشتراكي والشيوعي والوجودي..... الخ وهم يختلفون حول معاني العدل والحرية والمساواة وحول القضايا الاجتماعية وغير ذلك وهذا الجهل العلماني شجع العلمانيين على الحديث في كثير من المجالات وتقديم آراء هزيلة وليس علماء فتجد كثيراً من الأفراد العلمانيين وخاصة المثقفين يتحدثون في العقائد والتاريخ والسياسة والحياة الاجتماعية وهم لا يدركون أمانة العلم وأهميته فالعلم عندهم كلام وآراء ووجهات نظر شخصية ويحتمل الصواب والخطأ فيكفي في اعتقادهم أن يقرأ العلماني كتاباً أو كتابين في موضوع ما حتى يكتب في جريدة أو يتحدث في تلفاز وهذا الجهل العلماني أضر العلم كثيراً فالعلمانية هي منبع الجهل في أصولها وفروعها وتجد العلماني صاحب شهادة الدكتوراه في الهندسة يتكلم في الدين أو السياسة أو الاقتصاد وأوضح نماذج الجهل العلماني هو عندما يتحدثون عن الإسلام فمن أول حديثهم تعرف أنهم جهلاء وسطحيون ولا يعرفون التوحيد من الكفر ولا يعرفون الفرق بين الشريعة والفقهاء ولا يعرفون سيرة الرسول ﷺ فهم يتحركون بناء على عواطفهم أو معلومات خطأ أو فهم خطأ وكل بضاعتهم هي نقد الآخرين وعدم تقديم بديل غير الوعود والسراب والأمال التي لم نجدها نجحت في أي دولة عربية ولا حتى أجنبية وأقصد بالنجاح هنا نجاحها الشامل في تحقيق سعادة الإنسان وحرية وقربه من الله سبحانه وتعالى وغير ذلك وهذا لا ينفي تحقيق نجاح في

الحرية والمشاركة الشعبية في الرأسمالية الغربية وتحقيق نجاح في المساواة والأممية في الاتحاد السوفيتي الشيوعي. ومن الأسئلة الخطأ وما أكثرها التي تطرح في مجال الدين والعقل والعلم هو "هل نقف مع الدين أم مع العلم إذا حدث تناقض بينهما؟" وأقول الإسلام هو العلم الفكري والعلم المقصود هنا هو العلم المادي فالعلم المادي يتعلق بالكيمياء والفيزياء والطب.... الخ والعلم الفكري يتعلق بالتوحيد والشرائع والحياة الاجتماعية والاقتصادية.... الخ فإذا كان لا مجال لأن يقال أن حقائق علم الطب تتناقض مع حقائق الإدارة فكذلك الأمر عندما يقال إذا تناقضت حقائق الإسلام مع حقائق العلم المادي لأنهما لا يتناقضان وما أقوله هو القاعدة وإذا تطرق الإسلام لقليل جدا من الحقائق المادية وظن بعضهم أن في بعضها تناقضاً مع العلم المادي فهذه أو هام فالحقائق لا تتصادم مع الحقائق فأما هناك خطأ في فهم الآية أو خطأ في فهم الحقيقة المادية أما وجود تعارض مع آراء واجتهادات لعلماء مسلمين فالاجتهادات ليست الإسلام وهي تحتل الصواب والخطأ ولم يقل أحد أن علماء الإسلام معصومون ومن البديهييات أن تتعارض كثير جدا من الاجتهادات الإسلامية مع بعضها بعضاً فهذا موجود في كتب الفقه أما القول بأن هناك تناقضاً بين الإسلام والعقل وما يطلق عليه التعارض بين العقل والنقل فهو أمر تطرقت إليه في كتاب "عجز العقل العلماني" ويمكن الرجوع إليه وأكتفي بالقول بأن العقل السليم وليس الضائع أثبت صحة الإسلام (النقل والنص) فلا يمكن أبداً أن يتعارض معه فالإسلام هو العلم الفكري وبالتالي فاستخدام كلمة العلم والدين هو عملية تزوير فلو لم يكن الإسلام حقائق وعلم لما تمسكنا به وإذا كان الإسلام ليس علماً فما هو إذن؟ هل هو أساطير

أو أكاذيب صنعها رجل اسمه محمد؟ وهذا يعني أن كل الأنبياء كاذبون أو أتوا بكلام هو جهل لأن الدين ليس علماً فالإسلام عبارة عن حقائق تبين لنا وجود الله وصفاته وأسماءه ولماذا خلقنا؟ وكيف نذكره ونعبده؟ وأن هناك جنة وناراً وشريعة يجب أن نتبعها وهناك حلال وحرام وفيه أخبار كثير من الأنبياء وأقوامهم.... الخ فهل هذه حقائق أم أكاذيب إنها بالتأكيد علم نقي قال تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ (١٢٠) سورة البقرة وقال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ (١١٣) سورة النساء وقال تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (١٦٤) سورة آل عمران وهذه آيات واضحة تقول إن القرآن علم واقتناع العلمانية هو أن الإسلام وغيره من الأديان السماوية خرافات وأساطير يجب أن نبعداها عن الدول والسياسة حتى لا يفسدهم وهم لا يصرحون بذلك ولكن بالتأكيد إن فصلهم للدين عن الدولة هو رفض للدين واقتناع بأنه ليس علم والدين هو عدو العلمانية لأنه لديه الحقائق الفكرية ولأنه قائم على حقيقة أن لهذا الكون العظيم خالقاً عظيماً حكيماً قادراً عليماً علينا معرفته وطاعته وهذا أمر تثبتته العلوم المادية كالفلك والطب والفيزياء لأن فيها آيات كثيرة تثبت أن هناك خالقاً عظيماً والعلمانية قائمة على أن هذه قضية هامشية لا تستحق أن ننشغل بها بل علينا أن ننشغل بالاقتصاد والسياسة والتمتع بالشهوات والماديات قال تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن

آياتنا غافلون (٧) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٨) ﴿ سورة يونس
ومن الأمور التي تثبت جهل العلمانيين العرب هو أن تسألهم لماذا فصل
الإسلام عن الدولة؟ خاصة وأن النظام الإسلامي لا يضطهد علماء المادة بل
يشجعهم ولم توجد لدينا أبدا مشكلة بين علماء الإسلام وعلماء المادة والدول
الإسلامية دول مدنية وليست دولة دينية بالمفهوم الغربي وهذا وغيره يثبت
أن العلمانيون يجهلون الفكر الإسلامي ويجهلون التاريخ ويجهلون واقعنا
ويثبت أنهم أحد أسباب تخلفنا لأن جهلهم كبير.

الدين والعلمانية

قد لا يعرف كثير من الشباب أنه في أغلب عقود القرن العشرين انتشرت المبادئ الشيوعية وأصبحت الدول الشيوعية تحكم ثلث البشر على الأقل وكانت الشيوعية رمز العدل والمساواة وأمل الثائرين على الظلم والفقراء والمستضعفين من العمال والفلاحين وكانت الجبهة الشيوعية هي الوحيدة تقريباً المعادية للاستعمار والإمبريالية والرأسمالية الأوربية والأمريكية والآن اقتنعت الشعوب الشيوعية بأن الشيوعية التي حكمتها جهل وضلال وأنها قائمة على الشعارات والعواطف وردة فعل خطأ للظلم والاستبداد وهذا الاقتناع لم يحدث في الغالب نتيجة دراسة وتفكير وتعمق ولكن نتيجة للفشل الشيوعي الكبير في مجال الاقتصاد والسياسة فالشيوعية أنتجت الفقر والاستبداد والظلم والنفاق والعنف والأنظمة البوليسية مما جعل الشعوب تقتنع أن الرأسمالية أرحم وأفضل حتى لو كانت سيئة وما يهنا هنا هو بيان أن الشيوعية مبدأ علماني مائة بالمائة بل أكثر التزاماً بالعقل الضائع من الرأسمالية فهي أكثر صدقا والتزاماً بالمبادئ "الأوهام الفكرية" التي وصل إليها العقل الشيوعي في حين أن منهج الرأسمالية قائم على بعض المبادئ التي وصل إليها العقل الرأسمالي مخلوطاً مع مبادئ المصلحة ومبادئ الشهوات ومبادئ التعصب العرقي لأن العلمانية الرأسمالية تتعايش فكراً مع الانحرافات بل هي جزء من الفكر الرأسمالي فهي تعتبر بعض هذه الانحرافات باطلاً ولكن لا تحاربها كالخمر والزندقة وتعتبر بعضها حقاً كالربا والإلحاد والزنا أما الشيوعية فتطبق ما اقتنعت به فتجدها مثلاً مقتنعة

بفساد الانتماء العرقي سواء كان انتماء للون أو لقومية أو وطن ولهذا تجدها متمسكة بالأمية وتجدها مقتنعة بأن الأديان خرافة وباطل ولهذا تحاربها تعليمياً وإعلامياً ولا تجاملها كالرأسمالية وتجدها الشيوعية تحارب تعري المرأة والمجالات الجنسية ولا تقبل حلولاً وسطاً مثل الرأسمالية التي تقول هذا الباب مفتوح من أراد أن يدخل فليدخل ومن أراد أن يمتنع فليمتنع فالعلمانية الرأسمالية في مواضيع كثيرة ليست قائمة على علم أو جهل أي حق وحقائق أو باطل وأكاذيب بل هي ضائعة جاهلة مائعة منافقة وكانت الشيوعية تتشدد بالعلم والعلمية وتسمي نفسها الاشتراكية "العلمية" وتقول إنها تعتمد على العلم المادي في الوصول إلى مبادئها فالمبادئ التي لا تثبت من خلال التجربة والمشاهدة والاستنتاج هي مبادئ باطلة لا علمية فيها وليس هذا مجال مناقشة الشيوعية بل المهم بيان أن الرأسمالية والشيوعية هما مبدئان علمانيان وأن ما يقدمانه من أدلة "علمية" تثبت صحة المبادئ المنحرفة فيهما (لأنه ليس كل ما يقولونه هو باطل) هي أدلة مزورة فمثلاً الأدلة التي تقدمها الشيوعية في نفي وجود الخالق وفي رفض الأدلة التي يقدمها المؤمنون بوجود الله سبحانه وتعالى أدلة خطأ يرفضها العلم المادي والفكري ولا يقول بها إلا قليل جداً من الفلاسفة والمفكرين فالأغلبية الساحقة من عقول البشر مقتنعة بوجود الله سبحانه وتعالى أما الرأسمالية فهي لا تنكر وجود الله بل كثير من الرأسماليين يؤمنون بوجود الله ولكنهم يكفرون بما يترتب على هذا الإيمان من ضرورة معرفة الدين الصحيح من الأديان الموجودة وضرورة اتباع هذا الدين ويحاولون أن يقنعوا الناس أن هذه قضايا هامشية أو شخصية أو غيبية لا يمكن حسمها أو لا علاقة لها بالدولة

والسياسة وأن الالتزام بالدين يؤدي إلى التعصب وتعطيل العقل والتفكير أو غير ذلك فهم يفصلون بين الله والدين فيعلنون ولاءهم (أو أغلبهم) لله وكفرهم بالدين بل يحاولون أن يقنعوا الناس أن الإيمان بالله يعني فقط الإيمان بوجوده وهذا إما جهل عظيم بالدين أو كذب مقصود . فالدين الصحيح يبين لنا أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ولماذا خلقنا؟ وكيف نعبد؟ ويبين لنا معاني العدل والحرية والمساواة وكثيراً من القوانين ”الأحكام“ التي علينا الالتزام بها سواء على مستوى الفرد أو الدولة فالدين هو الحقائق الفكرية وهو العلم الفكري وهو المبادئ الصحيحة والعقل العلماني الرأسمالي يريد أن يتعامل مع الأديان كأمر واقع أو كعنصر من مكونات المجتمع ويعتبر بها جوانب خير وجوانب شر فيحاول أن يتعايش معها وهذا جهل عظيم لأن الدين الصحيح هو حق كله وخير كله لأنه جاء من الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم أما الأديان المنحرفة كالأديان السماوية التي تم تشويهها أو أديان صنعها البشر فيجب رفضها أي لو كان العقل العلماني الرأسمالي عقلاً سليماً لدرس بتعمق كل الأديان بل كل المبادئ والعقائد الدينية والعلمانية وحدد بوضوح وصراحة الحق من الباطل فيها والتزم بالحق ولكنه لم يفعل وبالتأكيد أن من لم يصل إلى الحق ”العلم“ لا زال يعيش في الباطل ”الجهل“ والطريف أن العقل العلماني يقول أنه لا يعلم بل يعترف أنه عجز بأسلوبه العلماني عن الوصول إلى الحقائق الفكرية ومع هذا يدعو الناس لاتباع مبادئه مع اعترافه أنها آراء شعوب وأفراد وليست حقائق علمية ومما زاد الطين بلة أن العلمانية الرأسمالية بأسلوبها الفلسفي الاتهامي الهجومي تنتقد كل الأديان وتتهمها بالجمود والتعصب والسطحية وكذلك تفعل مع الشيوعية وغيرها من المبادئ

العلمانية وفي نفس الوقت تقول لا أعرف أين الحق؟ وإذا كانت العلمانية تعرف أن فصل الدين عن الدولة رأي يحتمل الصواب والخطأ فليس من العقل أن تجعله أساس بناء فكرها لأن الأساس سيكون ضعيفاً وإذا أضفنا إلى ذلك أن العلمانية الرأسمالية الأوروبية والأمريكية وصلت إلى مبادئها واقتناعاتها النهائية قبل أن تعرف الإسلام وأنها حتى يومنا هذا لا زالت تجهل الإسلام لأنها تنظر بدونية لكل مبادئ العالم الثالث وشعوبه فالصوت العالي اليوم هو صوت التعصب العرقي والقوة المالية والتكنولوجية والعسكرية وليس صوت العقل والعلم. وتذكروا أن العلمانية الغربية تتعامل مع الدين كأنه ليس رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر تلك الرسالة التي حملها الأنبياء رسل الله وهم أفضل البشر وتلك الرسالة التي التف حولها كثير من عقلاء البشر وأفضل البشر إخلاصاً وأخلاقاً وعملاً وتذكروا أن العلمانية هي اللادينية أي الاتجاه المعاكس والرافض للدين حتى لو كان الدين صحيحاً وهي تفعل ذلك لأن عندها كل الأديان باطلة يجب أن تفصلها عن الدولة والسياسة حتى لا تفسدهما وهذا جهل عظيم وكفر واضح لأن الحل لن يكون الاحتكام للعلم والنور الذي جاء به الأنبياء بل لما يقرره الشعب على مستوى الدولة والفرد على مستوى الحياة الشخصية وإذا كانت مبادئ الإيمان وأحكام الدين مرفوضة فلا شك أن الساحة ستفتح لمبادئ الكفر والجهل والظلام ومن شاء أن يقتنع فاقروا ما قاله فلاسفة ومفكرو الغرب العلمانيين خلال الثلاثة قرون الأخيرة حتى تجدوا كثير من المبادئ التي تعارض عقائد الدين وأخلاقه وأحكامه حتى وصلنا إلى أن قبلت بعض الدول الغربية الزواج المثلي وأصبح الضلال العقائدي والأخلاقي هو السائد عندهم وهذا وضع

يزداد كل يوم سوء ولنعلم أن الفلسفة والعلمانية وجهان لعملة واحدة وهذا ما يجهله الكثيرون وتحاول العلمانية جهلاً أو كذباً إقناع الناس أنها لا تعارض الدين فهي منهج سياسي اقتصادي والدين منهج عقائدي عبادي وحقيقة الأمر أن الإسلام توحيد ومبادئ وفلسفة للحياة وكذلك الأمر مع العلمانية فهما منهجان متصادمان متناقضان وليسا متكاملين فكلمة دين في اللغة العربية هي المنهج وأسلوب الحياة قال تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾ أي لكم دينكم الذي صنعتموه بأرائكم وشهواتكم ومصالحكم ولي دين واحد يعتمد على الحقائق الفكرية أي النور والهدى وتعمل العلمانية على تشويه الإسلام بوسائل كثيرة منها أن الحل لاختلاف الأديان أن نعزلها ونبعدها عن السياسة وأقول نحن ندافع عن الإسلام فقط والمطلوب ليس إيجاد حل وسط بين الأديان بل معرفة من منها دين صحيح ومن منها دين باطل فهذا ما يدعو له العقل السليم لأن هذا معناه أن نرفض الدين الصحيح الذي يؤيده العقل والعلم لأن أصحاب الأديان الباطلة لا يريدونه وأقول الدين الصحيح هو العمود الفقري لتجميع المخلصين والعقلاء لا أن تبقى البشرية متمسكة بميراث شعوبها من أديان خطأ أو عقائد علمانية أو عادات سيئة خاصة أن مهمة العقل البشري الأولى هي إنقاذ الناس من الظلمات وهذه هي المهمة العظيمة التي قام بها الأنبياء وأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين به بها قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (١٢٥) سورة النحل فالعلمانية تريد أن تقف من الأديان

موقفاً محايداً وتعتبر هذا عدلاً وإنصافاً في حين أن العدل هو أن تدرس هذه الأديان بالعقل وتحدد الحق من الباطل ويجب أن نعلم أن الإسلام لا يحارب الناس لأنهم كفار أو لم يؤمنوا بالإسلام بل يحارب من يقف في سبيل نشر الإسلام أي الحقائق الفكرية في حين أن الحروب العلمانية هي حروب مصالح وعلو في الأرض وتعصب عرقي كما شاهدنا خلال الأربعة قرون الأخيرة وما يقال عن الإسلام يقال عن المذاهب والفرق الإسلامية وأقول المطلوب أن ندرسها ونعرف الحق من الباطل فيها وأضيف إلى ذلك أن أغلب غير الصحيح منها أرقى بكثير من العلمانية الرأسمالية في عقائده وأخلاقه وأحكامه ويكفي أنه يريد رضى الله سبحانه وتعالى في حين أن العلمانية لا تريد هذا أبداً وليست لديها حتى منهج لتحقيقه والعلمانية تجعل نفسها البديل لاختلاف الأديان بل تجعل نفسها البديل حتى لاختلاف أبناء الدين الواحد والمشكلة أن العلمانيين فيما بينهم أشد اختلافاً بكثير مما بين المسلمين فالعلمانيون ليسوا جميعاً مؤمنين بوجود الله وليسوا جميعاً مؤمنين بالرأسمالية وليس كل الرأسماليين ديمقراطيين وهكذا فأخر من يحق له التكلم عن الاختلاف هم العلمانيون ومع أن اختلافاتهم اجتهادية في نظرهم فهم يتعصبون لها ويوجهون الصواريخ النووية لبعضهم بعضاً كما حصل مع أمريكا والاتحاد السوفيتي وكما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية وهي حروب بين دول علمانية لا دينية والعلمانية ترفض حتى المبادئ المشتركة بين الإسلام والمسيحية أي اتفاقهما حول معرفة الله وعبادته وطاعته وتحريم الزنا وغير ذلك وهذا يثبت أنها مبدأ مناقض لهما وليست حتى حل وسط والغريب أن العلمانية ترفض حتى أن يكون الدين أحد مصادر

التشريع حتى لو كان الشعب كله مسلمين أو مسيحيين فكأن الدين لا يأتي إلا بالجهل والظلم فهي لا ترضى حتى بأن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض وهذا بحد ذاته كفر كما جاء في القرآن الكريم والعلمانية تتبنى كفراً أشد وضوحاً وصراحة منه . ويظن بعضهم أن المسلمين يفهمون العلمانية بطريقة خطأ فالعلمانية ليست اللادينية بل هي فصل الدين عن الدولة والسياسة وتطورت العلمانية مع مرور السنين وأصبحت على علاقة طيبة مع الدين ويعتقد هؤلاء أن الشيوعية هي اللادينية الكافرة وهي التي تحارب الدين أما العلمانية فهي مؤمنة بوجود الله وكثير من العلمانيين يتمسكون بالدين في حياتهم الشخصية والعقائدية فيصلون ويصومون ويذهبون إلى المسجد أو الكنيسة وأقول الإيمان بوجود الله فقط ليس إيماناً صحيحاً فكفار قريش كانوا يؤمنون بوجود الله وكانوا يعبدون الأصنام حتى تقربهم من الله ومع هذا هم كفار وكيف يكون الإنسان مسلماً وهو يعتقد أن عليه أن يطيع الله فيما يتعلق في حياته الشخصية وبعض العقائد ويكفر بما أمرنا الله في مجال التشريع والسياسة والاقتصاد وبالتأكيد أن هذا ليس الدين الذي جاء به موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ولو كان هذا هو الدين لما حصل الصدام والصراع بين موسى وفرعون وبين محمد وقريش والآيات القرآنية صريحة في ذلك قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون﴾ (٨٥) سورة البقرة وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي

المتقين ﴿١٩﴾ سورة الجاثية. والمسلم الذي لا يعرف أن فصل الإسلام عن الدولة أو السياسة كفر هو مسلم جاهل لا يعرف الإسلام أو لا يعرف العلمانية أو لا يعرفهما معا وعليه أن يقرأ القرآن ويسأل العلماء فالعلمانية تقبل الدين (الإسلام) إذا استسلم لها وترك الدولة والسياسة والاقتصاد واكتفى بالصلاة وأحكام الزواج والجنائز والحيض والنفاس . فالدولة العلمانية ليست مع التوحيد والإيمان ضد الكفر والشرك وليست مع المؤمنين ضد الزنادقة والكفار ولنتأكد أننا إذا لم نكن كمبادئ وأفراد في معسكر الله ورسوله وكتبه فنحن في معسكر الشيطان والكفر فلا يوجد موقف محايد أما في جانب الدولة والسياسة فالعلمانية تفصل الدين عن الدولة وفصله رفض صريح وإذا أبعدهنا الحق وفصلناه فلا شك أننا نعيش في الباطل ونتبعه وتتبع مبادئ الإسلام من قال الله سبحانه وتعالى وقال رسوله وتتبع مبادئ العلمانية من أقوال الفلاسفة ونتائج التصويت والآراء الشخصية والطول الوسط والإسلام قائم على تعظيم الله سبحانه وتعالى وعبادته وطاعته وتعتبر العلمانية هذه القضايا هامشية وأحيانا أساطير وخرافات ورجعية ويدعو الإسلام للأخلاق الفاضلة وتسمح العلمانية بالفساد الأخلاقي باسم الحرية الشخصية وكل هم العلمانيين الدنيا والمال والسياسة والاقتصاد والتمتع بالملذات قال تعالى: ﴿فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا (٢٩) ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ (٣٠) سورة النجم فالعلمانية تحارب ما يدعو له الدين من دون أن تعلن صراحة هذه الحرب وما تفعله العلمانية هو كذب وغش وخداع للناس وللأسف أنها نجحت في خداع كثير من بني آدم ومن وسائل خداعها أنها تقول فصل الدين عن الدولة

ولا تقول فصل الإسلام عن الدولة لان هذه العبارة تكشف حقيقتها وإذا كان العمود الفقري للعلمانية هو فصل الدين عن الدولة وليس فصل الزندقة والكفر أو الفسق عن الدولة أليس هذا يجعلنا نرى صورة الكفر واضحة وتكتمل صورة الكفر العلماني إذا رأينا كيف يشوه العلمانيون صورة الملتزمين بالإسلام ويتهمونهم بالإرهاب والتطرف مع أن المتطرفين لا يشكلون حتى ١٪ من المسلمين الملتزمين ولا بد من توضيح أن الدولة الإسلامية دولة مدنية ذات مبادئ إسلامية وليست دولة دينية بالمفهوم الغربي فهي دولة لا يحكمها علماء الإسلام بل يحكمها من يختاره الشعب ومن يحكم بها لا يتكلم بالنيابة عن الله بل هو بشر يخطئ ويصيب ويمكن أن يعزل كما أن الحكم شورى (ديمقراطية) وما تلتزم به الدولة هو الإسلام أما الاجتهادات الإسلامية فتقبل أو ترفض ويقرر ذلك المسلمون من خلال التصويت أو غيره وفي الدولة الإسلامية مكان كبير للأقليات غير المسلمة حتى في مجال السياسة ولا يفرض الإسلام على غير المسلمين وتسمح الدولة المسلمة لهم بممارسة عقائدهم وعباداتهم.

خدعوك يا شرويدر

قال المستشار الألماني غير هارد شرويدر في مذكراته التي نشرت في جريدة القبس في الحلقة الثانية بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٦ ” وكان هذا سبب مشكلتي مع الرئيس الأمريكي الذي كان عنده إيمان وعقيدة راسخة بأن قراراته السياسية تأتي نتيجة صلواته وحديثه مع الرب“ وقال ” وعندما يدعي الطرفان (الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية) امتلاك الحقيقة الصحيحة والوحيدة فإنه سوف يكون من الصعب وجود ملتقى للطلول السلمية“ وقال ” وأنا أعتبر أن العلمانية (فصل الدين عن الدولة) هو تقدم كبير“ للحضارة الإنسانية ” وأقول تعليقا على ذلك:-

١- إذا كان الرئيس بوش الابن يتحرك في حروبه ضد أفغانستان والعراق وغيرهما تنفيذا لأوامر الله سبحانه وتعالى فعلى كل المؤمنين أن يؤيدوه لان الله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما يفيد الناس أما إذا كان يتحرك بناء على مصالح أمريكية غير مشروعة فالواجب أن يتم معارضته وردعه لأنه لا ينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى والحرب التي يأمر بها الله سبحانه وتعالى هي حرب لنشر التوحيد والإيمان والعدل والمبادئ الصحيحة وليس هدفها استعمار الشعوب أو استنزاف الثروات أو العلو في الأرض.

٢- حدثت عشرات الحروب خلال القرن العشرين وأغلبيتها الساحقة لم تكن حروباً دينية بل كانت حروباً بين دول علمانية فهي حروب دوافعها مصالح مادية أو عصبية عرقية أو صراعات فكرية علمانية كما حدث بين الرأسمالية والشيوعية فالحروب العلمانية هي أكثر وأساء من الحروب

الدينية بدليل أن الحربين العالميتين الأولى والثانية هي حروب بين دول علمانية ونحن نرفض كل الحروب الدينية التي خلفها عقائد دينية غير صحيحة أو مشوهة سواءً كانت بسبب أديان سماوية أو غير سماوية فالربط بين الدين الصحيح وكثرة الحروب ربط ظالم والعكس صحيح أي أن العلمانية هي أم الاختلاف والصراعات والفتن والحروب.

٣- الدين الصحيح مع الأمن والسلام ولا يدعو لقتال الآخرين فالإسلام والمسيحية وهما أكبر دينين لا يدعوان لقتال بعضهم بعضاً فالله سبحانه وتعالى حرم علينا قتال من لا يعتدي علينا إلا إذا حاربوا ديننا أو منعوا تبليغه للناس فالتاريخ يشهد بأنه كان ولا زال يعيش في الوطن العربي ملايين المسيحيين في مصر والشام منذ ألف وخمسمائة سنة وعاش ملايين المسيحيين في الخلافة العثمانية وفي الدول الأموية في الأندلس فالعلمانية تحاول إقناع البشر بأن السلام مستحيل إذا تمسك أصحاب الأديان السماوية بمبادئهم وهذا فيه جهل بالإسلام والمسيحية والواقع وفي نجران في المملكة السعودية يوجد مسيحيون عاشوا في أمان ولا تحاربهم القبائل المسلمة ولكن كثيراً ما تتحارب هذه القبائل مع بعضها بعضاً ويعيش اليهود في اليمن منذ قبل الإسلام حتى يومنا هذا كمواطنين يمينيين والتشابه والتقارب بين الإسلام والمسيحية أكبر بكثير مما هو بين المسيحية والعلمانية أو بين الإسلام والعلمانية وأكبر عقيدتين في الأرض متقاربتان هما الإسلام والمسيحية وليس الإسلام والبوذية أو المسيحية والهندوسية أو الرأسمالية والشيوعية مع انهما عقيدتان علمانيتان والإسلام يسمى المسيحيين واليهود أهل كتاب ويقبل أن يتزوج المسلم من

مسيحية في حين أنه يعتبر العلمانيين كفاراً ومشركين فالعلمانية فرقت
البشر ولم توحدهم فهل هذا هو التقدم الكبير للحضارة الإنسانية الذي قال
عنه المستشار شرويد .

٤- كنت ولا زلت أطالب عقلاء البشر بأن يدرسوا الأديان السماوية والعقائد
العلمانية ويحددوا الحق من الباطل فيها فإذا كانت المسيحية هي الدين الحق
فعلينا اتباعها وإذا كانت الرأسمالية هي الفكر الصحيح فعلينا الالتزام بها
وهكذا أما الهروب من حسم الاختلاف بالعقل والعلم كما تفعل العلمانية
فهو ليس حلاً صحيحاً وإذا كان كل طرف يدعي أنه يملك الحقيقة الوحيدة
كما قال المستشار شرويد فهذا شيء طبيعي ومتوقع والمطلوب أن يسعى
العقلاء للبحث عن الحقيقة لا أن يؤمنوا بعقائد دينية للآباء والأجداد أو
بعقائد علمانية لفلاسفة أو دول دون تعمق ودراسة ويقين.

٥- إذا كان الإنسان استخدم عقله في الوصول إلى الحقائق المادية في
مجال الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والأحياء والطب والزراعة..... الخ
واستفاد منها في صناعة الطائرات والسيارات وزراعة الحبوب والفواكه
وعلاج الأمراض واستخراج النفط والمعادن..... الخ وإذا كان تمسكه
بالحقائق المادية والدفاع عنها أمراً صحيحاً ولم يضيق من مساحة التفكير
والاجتهاد العقلي فإن العلمانية تريد منا أن نقنع أنه لا توجد حقائق فكرية
في مجال العقائد والمبادئ سواء الدينية أو العلمانية وتعتبر من يقول إن
مبادئه صحيحة ويتمسك بها جهل وتعصب وتخلف علمي ولا يستخدم عقله
في التفكير والاجتهاد والتمسك بالمبادئ الصحيحة لا يعارض الواقعية في
مجال حل الصراعات السياسية فالدين لا يفسد السياسة كما تدعي العلمانية

بل يدفع الحلول السياسية قدر ما يستطيع باتجاه العدل والرحمة والتسامح، والفاقدون من السياسيين هم الذين يريدون سياسة بلا دين أي سياسة بلا مبادئ صحيحة أي سياسة تتحكم بها القوة والكذب والغدر والظلم ويعتبرون الفائز فيها هو الذي حصل على أكبر قدر من المصالح سواء كانت هذه المصالح أموالاً أو مناصب أو شهرة.

٦- تظن العلمانية أن إضعافها للدين سيؤدي إلى القضاء على التعصب الديني أو يضعفه وهذا قد يكون صحيحاً في حالات كثيرة ولكن القضاء أو إضعاف التعصب الديني يتم بمعرفة الدين الصحيح ثم بيان الدين الصحيح بصورة صحيحة حتى لا يستغله المتطرفون والجهلاء لأن الدين الصحيح جاء من الله سبحانه وتعالى وهو يحقق الإصلاح الحقيقي وإبعاد الدين كما شاهدنا يؤدي إلى نشوء عصبية كثيرة أولها العصبية العرقية من قومية ووطنية وقبلية وثانيها التعصب للمصالح والماديات والشهوات المحرمة وثالثها التعصب للمبادئ العلمانية من شيوعية ورأسمالية واشتراكية وزندقة وإلحاد..... الخ فالتعصب زاد مع العلمانية ولم يقل فهل هذا هو التقدم الكبير للحضارة الإنسانية الذي قال عنه المستشار شرويدر.

٧- من أول الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة هو عقد تحالف مع اليهود ضد الكفار ثم بعد ذلك حارب من خان منهم ولم يحاربهم لأنهم يهود كما أن المسلمين يعتقدون أن عيسى ﷺ نبي وتوجد سورة كاملة باسم مريم رضي الله عنها وآيات كثيرة عن موسى ﷺ بل ورد اسم موسى ﷺ في القرآن أكثر بكثير مما ورد اسم محمد ﷺ والشاهد أن مبادئنا الإسلامية امتداد للرسالات السماوية في عقائدها

وأخلاقها ولا نحارب الناس لأنهم مسيحيون أو كفار بل نحارب من يحاربنا أو يعتدي علينا أو يمنعنا من إبلاغ الإسلام للناس وقد غلبت الفرس الروم في عهد الرسول ﷺ فحزن المسلمون لأن الكفار انتصروا على أهل الكتاب قال تعالى: ﴿الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥)﴾ سورة الروم ولو كنا نريد قتل المسيحيين لما بقي مسيحي واحد في مصر أو بلاد الشام ولو كنا نريد أن نعاملهم كما عامل الأسبان المسلمين في بلاد الأندلس أو الصرب مع مسلمي البوسنة والهرسك لاستطعنا ولكن مبادئنا الإسلامية تمنعنا وعاش المسيحيين واليهود في أمان في الخلافة العثمانية بل ساعدت الخلافة العثمانية اليهود عندما تعرضوا للاضطهاد في أوروبا وقد لا يعرف الكثيرون أن الخليفة العثماني محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية كانت أمه مسيحية فالعلمانية تستغل تطبيقات غير سليمة من المسلمين أو المسيحيين أو تفهم بعض الحروب بصورة خطأ وتحاول أن تقنع الناس أن الابتعاد عن الأديان يحقق الخير والسلام.

٨- في القرآن الكريم والأحاديث النبوية آيات صريحة وأحاديث واضحة تنتقد الانحرافات التي حدثت في اليهودية والمسيحية وعند الكفار وحتى عند المسلمين عندما يخطئون فتسمية الأسماء بأسمائها الصحيحة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى مطلوب فإذا قال الله سبحانه وتعالى عن هذه العقيدة بأنها كفر وأن من يحاربون أنبياء كفار فهذا ليس تعصباً دينياً بل هذه حقائق فكرية تبين لنا الحق والنور من الباطل والظلمات ولكن

العلمانية تقول لا فرق بين مؤمن وكافر ولا توجد مبادئ صحيحة ومبادئ غير صحيحة وتعتبر هذا تسامحاً ورحمة ورقياً وأقول هذا تزوير للمعاني الصحيحة للتسامح والرحمة وهي المعاني التي حددها الله سبحانه وتعالى ونحن لا ندعو لأن نقاتل أو نعتدي على غير المسلمين بل مبدأ الإسلام هو أن الناس أحرار في مبادئهم قال تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وما نطالب به أن يعرف الناس الحقائق الفكرية بصورة واضحة. والمطلوب أيضاً أن يبين غير المسلمين عقائدهم بصورة واضحة حتى يحدث حوار بين البشر مبنياً على العقل والعلم ليصل من يريد أن يصل منهم إلى الحق والصواب أما الحل العلماني فهو أيها البشر لا تتعمقوا في العقائد وتجاهلوها بل اصمتوا وجاملوا بعضكم بعضاً ولا شك أن الحوارات الصريحة ضمن الضوابط الصحيحة التي تبعتها عن السفهاء هي طريق العقل والعلم والحوار الذي أمرنا به الله سبحانه وتعالى حوار ليس فيه شتائم أو سخرية من الآخرين ولن يغضب المسلم أو صاحب عقيدة إذا اتهمه الآخرون بالجهل أو الكفر فمن الطبيعي أن من يخالفك يعتقد أنك على باطل فالوصول إلى الحق هو أهم واجبات العقول البشرية وهذا هو ما فعله الأنبياء مع الكفار والجهلاء لا أن نشغل عقول البشرية بإشباع الشهوات أو كسب المال أو مشاهدة الأفلام أو المبالغة في الماديات من مأكّل وملبس ومسكن وترفيه أو قراءة القصص والروايات.

أخطر من المخدرات

تقف العلمانية عاجزة أمام الفساد الأخلاقي فهي لا تسعى لمنعه قانوناً ولا تعتبره في أدبياتها مخالفاً للأخلاق الفاضلة والحقيقة أنها تشجعه بطريقة غير مباشرة عندما تعتبر الزنا جزءاً من الحرية الشخصية التي يجب حمايتها والدفاع عنها وإذا سلطنا الأضواء العلمية العميقة على الحقائق الواقعية لعلاقة المرأة بالرجل في الغرب العلماني فإننا سنجد الشقاء والتخلف الاجتماعي متمثلاً في ارتفاع نسبة العنوسة والطلاق والخianات الزوجية وجرائم الاغتصاب والإجهاض والأبناء غير الشرعيين والأمراض النفسية والجنسية وانقراض أو شبه انقراض الحب والوفاء والإخلاص والتضحية والزواج الدائم..... الخ وهذا شيء طبيعي لأن الحب والزواج والوفاء لا تستطيع العيش في بيئة الفساد الأخلاقي وتثبت الإحصائيات العلمية هذا الفشل وليس هذا وقت التفصيل فمثلاً قد وصلت نسبة الطلاق في الولايات المتحدة إلى ٥٠٪ وهذه نسبة عالية جداً مقارنة بشعوب العالم وما ينطبق على الولايات المتحدة ينطبق على أوروبا الغربية وعندما كانت الولايات المتحدة قبل قرن أكثر مسيحية كانت نسبة الطلاق منخفضة وكلما زادت علمانيتها زاد ضياعها وشقاؤها ومما يثبت شقاء المجتمعات العلمانية أن الزوجة الجميلة والشابة تعيش في قلق دائم لأنها تعلم أن بيئة العمل وبيئة الحياة الاجتماعية ملوثة جداً بالفساد الأخلاقي فمن الطبيعي أن يجذب زوجها للنساء الجميلات والاعراض لأن لكل جمال جاذبيته فتجدها تعيش في عالم من الغيرة والشك والخوف ومهما صرفت هذه الزوجة على جمالها ورشاققتها ومهما تعاملت

مع زوجها بصورة ممتازة فإن معركتها خاسرة لأنه من الصعب على الزوج الذي تعود قبل الزواج على الزنا أن يمتنع عنه فالفساد الأخلاقي شره أشد بكثير من شر المخدرات على المجتمع فإذا كانت هذه حال الزوجة الجميلة الشابة فما بالك بأغلبية الزوجات ذات الجمال العادي أما غير المتزوجات فيعانين من عزوف الشباب عن الزواج ويعانين من الوحدة والخوف من العنوسة والمستقبل ولا يجدون من كثير من الشباب إلا النظرة الجنسية فلا يوجد حب ولا إخلاص ولا وفاء ولا تضحية ولو سألنا العقل البشري السليم لقال إن مصلحة الفرد والمجتمع هي في العفاف والاحتشام والحياة الزوجية السعيدة فهذا ما يريده الأب لابنته وما يريده الأخ لأخته وما يقوله العقل وهو ما يدعو إليه الإسلام فلا شك أن معرفة الله سبحانه وتعالى وحيه والخوف من عذابه من أهم العوامل التي تبعدنا عن الزنا كما أن الإسلام يمنع جمال المرأة من التحول إلى فتنة وشقاء فيحميه بالحجاب والاحتشام ويقلل الاختلاط مع الرجال للحد الأدنى ويمنع الاختلاط الرديء والتبرج وإثارة الغريزة الجنسية من خلال التلفاز والمجلات والجرائد والانترنت ويأمرنا الله سبحانه وتعالى بغض البصر وهو أمر مهم جدا كما أن الإسلام يأمرنا بالانشغال بطلب العلم وبالاجتهاد في العمل الأخروي والديني ويشجع الزواج حتى يتم إشباع الغريزة الجنسية بطريقة شرعية ومطلوب من المسلمين تسهيل الزواج بكل الوسائل حتى لو لم يكن لدى الشباب مال يدفعونه كمهر وما نجده في واقع كثير من المسلمين من تعقيد للزواج بطلب المهر الغالي والمسكن الكبير وغير ذلك هو دليل ضعف إيمانهم وعلمهم بالدين ولنتذكر أن أعداء الإسلام يحاولون ليلا ونهارا نشر الفساد الأخلاقي بين المسلمين بطرق

مباشرة وغير مباشرة ولهؤلاء أقول قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (١٩) سورة النور وعموماً فالفشل العلماني واضح جداً في الحياة الاجتماعية في الدول الغربية وهذا الواقع كتاب كبير مفتوح علينا أن نقرأه وعلينا ألا ننخدع بالصورة السطحية التي يظهرها الإعلام الغربي لهذا الواقع فامرأة بدون زوج صالح خسرت الكثير وفتاة شغلت نفسها بأدوات التجميل والرشاقة والملابس هي فتاة ضائعة قلقة لأن هذه الأمور ليست الطريق إلى جذب الزوج والاحتفاظ به فالمفاهيم العلمانية للحرية الشخصية ومواصفات الزواج الناجح والزوج المناسب والزوجة المناسبة وغير ذلك كلها مفاهيم غير صحيحة صنعها الجهل والعقول الضائعة فحصدت الشقاء والآلام.

العلمانيون والإسلام المجهول

على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا وعلى الرغم من وجود القرآن وأحاديث الرسول بين أيدينا ووجود علماء الإسلام وكتبهم ووجود عقول لنا إلا أن بعض بديهيات الإسلام مجهولة عند كثير من العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية وإليك الأدلة:-

١- يظن البعض أن الاختلافات كثيرة بين المسلمين وأنهم لا يختلفون عن العلمانيين وأقول الإسلام هو القرآن والأحاديث الصحيحة فالحقائق الإسلامية واضحة جدا والاتفاق عليها أمر محسوم واللغة العربية واضحة جدا أما الاختلافات الاجتهادية فهي أمر طبيعي وصحي ومطلوب وجزء من الإسلام ودليل على مرونة الإسلام وواقعيته وكل عالم مسلم يقول بخلاف حقيقة إسلامية واضحة فكلامه مردود عليه فالمشكلة هي عند هذا العالم لا الإسلام ولا المسلمين والقضايا التي تحتمل الاختلاف سواء في تفسير آية أو حديث أو اجتهاد في حدث سياسي هي أمور مقبولة ويمنع الإسلام أن يتحول الاختلاف إلى صراع أو حتى تنافر وعداوة وإذا حدث بعض ذلك فهو أمر مرفوض حتى لو كان بين الصحابة ووجود الخطأ الاجتهادي لا يعني أن الضياع أصاب الإسلام لأن المبادئ (الحقائق) الإسلامية لا خلاف عليها بل إن "الخطأ" عادة يكون من أقلية ويكون أغلب المسلمين "الملتزمين" مع الاجتهاد الصحيح أقول وأكرر إن الملتزمين بالإسلام عن صدق ووعي لا توجد عندهم مشكلة اختلاف جذري أبدا ولا توجد عندهم حيرة أو ضياع فالعلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة أمر

مرفوض والفساد الأخلاقي أمر مرفوض والربا أمر مرفوض والتبرج أمر مرفوض وترك الصلاة أمر مرفوض أما الاختلاف حول هل الشورى ملزمة أم لا والاختلاف حول الديمقراطية أو الأحزاب السياسية أو مشاركة المرأة في الانتخاب فهذه أمور يمكن الوصول فيها إلى الاجتهاد الصحيح من خلال التعمق في دراستها ودراسة الواقع.

٢- يحسم الاختلاف الاجتهادي بطرق منها الاحتكام لأهل العلم أو الاحتكام للقيادة السياسية أو الحوار بين المختلفين ويقدم كل طرف حججه أو بالتصويت واتباع الأغلبية أو بالتنازل وهذه أمور حدثت في اختلاف الصحابة حول من يخلف الرسول ﷺ وغير ذلك ولا مانع أن تبقى الاجتهادات تعيش مع بعضها بعضاً بمعنى أن الذي يحسم هو من يتعلق بقانون أو قرار. أما غير ذلك فهي أمور لا تحتاج إلى حسم سواء تتعلق بالعبادات أو قضايا اجتماعية ويدعونا الإسلام للبحث عن الأدلة والحجج عند الأطراف المختلفة.

٣- لا شك أنه يوجد قديما وحديثا من يحاول من السياسيين أن يستغل الدين ويقنع الناس أن ما يفعله هو الصحيح فصدام كان يعتبر غزوه للكويت جهاداً وأقول علماء المسلمين الواعين كانوا يعتبرونه فساداً وليس جهاداً ولم يكن عند المسلمين الملتزمين غموض وإذا وجدت حالات شاذة فهذا أمر متوقع فالعقول تختلف والمعلومات التي تصل إلى العقول ليس كلها صحيحة. ومعروف أن الساحة السياسية تؤثر فيها دول وأنظمة متصارعة وعصبية عرقية ومصالح اقتصادية وعقائد متناقضة ومنافقون وخونة وحمقى.... الخ فلا يجوز تحميل هذا التناقض والاختلاف على المسلمين

لأن الإسلام ضد سفك الدماء وإشعال الفتن فحزب البعث حزب علماني علاقته بالصلاة بل حتى بعقائد الإسلام مقطوعة فكيف يكون منه جهاد وعموما فأهل الكذب من السياسيين وأهل الدجل من المشعوذين وغيرهم لا يخدعون إلا من هو جاهل بأساسيات الدين وبعيد عن علماء الإسلام ولو أخذنا موقفاً واجتهاداً أكبر مائة من علماء المسلمين الكبار لوجدنا أغليبتهم الساحقة إن لم أقل جميعهم ضد غزو العراق للكويت وبالتالي فلا توجد عند المسلمين مشكلة في معرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ في الأمور الأساسية والاجتهادية فمن الخطأ القول إن المسلمين اختلفوا حول غزو العراق للكويت.

٤- إذا كانت معرفتنا بالإسلام قائمة على القرآن والأحاديث الصحيحة فلا توجد عندنا مشكلة اختلاف أو حتى ضبابية أما إذا كنا نحتكم لأقوال فرق إسلامية أو صحابة أو علماء أو أحاديث موضوعة أو حتى ضعيفة أو روايات تاريخية كاذبة وما أكثر هذه أو أقوال مستشرقين حاقدين أو علمانيين فإننا سنظن أن هناك تناقضاً في آيات القرآن وأن الصحابة كانوا أعداء بعضهم بعضاً وأن تاريخنا شديد السواد وأننا أسوأ أمم أهل الأرض قديماً وحديثاً وأكثرها اختلافاً وهذه الصورة المأساوية غير موجودة عند المسلمين الملتزمين الواعين بل عند أغلبية عامة المسلمين واقراء وإن شئتم شعر أمير شعراء العرب أحمد شوقي رحمه الله حتى تعرفوا كم كان اعتزازه وفخره بالخلافة العثمانية وهذا لا يعني أنها بلا أخطاء وكان أحمد شوقي مثقفاً ومطلعاً على ثقافة الإسلام وثقافة الغرب وأقول ليست عندنا كمسلمين أزمة فكرية ولا أزمة اجتهادية.

٥- إذا كان الإسلام هو الحق والصواب والنجاح فإن المسلمين لن يكونوا على حق وصواب ونصر إلا إذا التزموا بهذا الإسلام علماً وعملاً فلم المسلمين بالإسلام يختلف من جيل إلى آخر ومن مكان إلى آخر ومن شعب إلى آخر ومن نظام حكم إلى آخر ومن فرد إلى آخر وكذلك الأمر بالنسبة للعمل وقد يكون الالتزام بأحدهما أو كليهما ضعيفاً بل غير موجود وقد تنتشر المعاصي والانحرافات من الكذب والنفاق والفساد الأخلاقي والظلم وغير ذلك وهذا واقع مشاهد في كثير من الأفراد قال تعالى: "ليس بأمانتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به" بل إن انحرافات المسلمين قد تصل أحياناً إلى إخراجهم من الإسلام أي يصبحون مشركين وكفاراً. وصحيح أن المسلمين الملتزمين ليسوا ملائكة ولا معصومين ولكن الانحرافات عندما تكون قليلة واستثنائية فهذا أمر واقعي وطبيعي أما أن تصبح الحالة السائدة ثم نبحث عن ثمار الإسلام في حياة هؤلاء فهذا يناقض الإسلام وأحياناً نجد شعوباً غير مسلمة أفضل في مجال العدل والصدق والاجتهاد في العمل من شعوب تنسب للإسلام.

٦- لا يجوز للمسلمين أن يقولوا نحن أحرار في أن نلتزم بعقائد الإسلام والشريعة الإسلامية أو لا نلتزم أما إذا لم نكن نريد أن نكون مسلمين فلنعمل ما نشاء ولنعتقد ما نشاء ولنحتكم إلى من نشاء ومعنى هذا أن من بديهيات الإسلام أن أي عقيدة أو قانون أو قرار يخالف الإسلام يضرب به عرض الحائط سواء كان المؤيدون له أغلبية الشعب أو حاكماً أو مجلساً نيابياً أو قوانين دولية أو دولة عظمى أو قبيلة أو حزباً أو أباً فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

